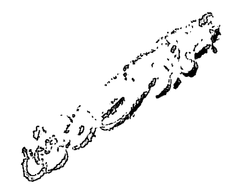
إبراهيم معمر البقار

يوم أن رحلت أمي

مجموعة قصصية

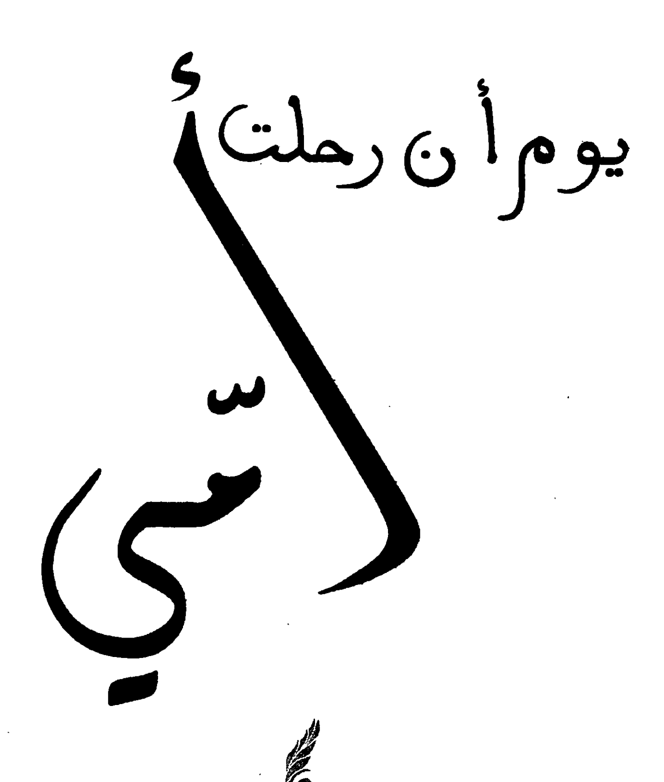
الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE





يوم أن رحلت أمي

إبراهيم معمر البقار



الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

أمي

إبراهيم معمر البقار

الطبعة الأولى : 2020 م

رقم الإيداع المحلي: **2019/12**
رقم الإيداع الدولي: **9789959-921-01-7**

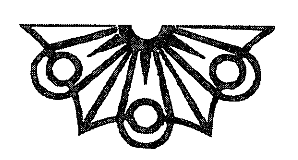
دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا
هاتف: **7165022.21821+** - بريد مصور **4843580-21821+**
ص.ب: **75454** - طرابلس **Email: almosgb@yahoo.com**

الإهداء

إلى / والدتي ..

إلى / والدي ..

والناس أجمعين



المقدمة

كم تُفرحنا وتُسعدنا وتُشدنا الكتابات التي تبتعد عن الغرابة المُفرطة في التعبير والتراكيب المستعصية على الفهم والإطالة التي في غير محلها وأيضاً في غير توقيتها، البعيدة عن المُحسنات البديعة والإغراق فيها، كالجناس والطباق والتورية والإقتباس والتضمين والتأنق في الألفاظ وتزويق الجمل وتلميع العبارات، نحن نحب الكتابات الهادفة التي تحتوي على شيئاً من حرارة العاطفة وصدق المشاعر ووضوح التجربة وإتساقها وإنبثاقها من واقع الناس المُعاش، تُعبر عن الآمهم وتدغدغ آمالهم تشدُ من أزرها بعد إنطفاء وخمول، تبتعد عن النظم والتكلف فيه، وتهرب من الإيحاء العميق والرمزية الشديدة.

الناس لم تعد تحتمل الإطالة في أي شيء، في الإطالة جمود وتوهان يفُضي إلى إرتباكٍ في الفهم والإستيعاب، ما عاد أحد يُحبذه أو يرغب فيه.

ليس أجود من المُجابهة والوضوح والإختصار القوي المُفيد المُغني عن الإسهاب في غير فائدة، يخلع عباءة فضفاضة لا تليق به إنه من الضروري لضمان سهولة الفهم والولوج إلى عقل المتلقي وقلبهُ بل على العكس ستزيد من نفوره وتلعثمه الأدبي وتكون حينئذ تَهدُم ولاتبني وتُنفر بدل أن تحبب وتُبعد بدل أن تُقرب، إن الكتابة الحقة والأدب الهادف هو ما يُستنبط من حياة الناس البسطاء ويُغلف بصورة

بسيطة مريُحة واضحة يتمكن الجميع فك رموزها وإرتباطاتها والنهل من معينها، وليس التعالي والتفاخرِ والمجاملة المنمقة على حساب المضمون، لابد أن يكون منهم وإليهم، وغير ذلك لن يكون إلا سفسطة كلامية مزدحمة بالألفاظ المفُككة التي لن تَلقى لها ترابط، أُريدَ بها التباهي واستعراض القدرات لا أكثر، فما نفع السمين المُكتنز الذي أكثره شحماً لا يستسيغه الآكلون.

إنـي من أنصار الواقعية بشدة، البساطة في التركيب دعامتي الأساسية، إن الأدب المُغرق في الغموض بجميع أجناسه وأنواعه هو صالح لاستهلاك الصالونات الأدبية الغارقة في التوهم والبهرجة الكذابة متى خرج منها مات. لن يعيش إلا من كانت رئتاه منه وفيه متى فُصلت عنه صار جثة هامدة.

كما أني أرفض أن أحرُق بخوري في مجامر النفاق وأن أرمي بقشي تحت مواقد التملق وأن أغمص مغرفتي في موائد التزلف. لن يشبع من لم يأكل بيديه ولن يرتاح من لم يمضغ طعامه جيداً حتى يتيسر له الهضم المُمتاز وإلا أُصيب بتخمة توصله إلى إغماءة قد تطول وقد تذهب به إلى حيث لا رجعة، هكذا هي الكتابة تماماً، هي نهوض وليس إثقالٍ إلى قعود، هي دفع رفيق رقيق إلى الأمام وليس شداً مؤلماً حاراً إلى الوراء.

إن إستجلاب أدباً مستورداً مُعلباً جاهزاً من خارج دائرة الكاتب والمبدع والأديب ومن خارج أسوار قضايا محيطه الذي إليه ينتمي ويأويه، حتى وإن كان من خيال لهو أمرٍ مُستهجن ومرفوض من قِبل من أراد توجيه أدبه إليهم وتهمه أمورهم وخفايا حناياهم، فيخطئ بذلك الهدف ولا يصل ولا يُدرك أبداً الغاية المُرجوة فهي ليست من

إهتماماتهم ومشاغلهم، إن واقعنا ملئ فلِماً ظاهرة الإستيراد التي طالت كل مناحي حياتنا وهموم يومنا.

فنحن لنا قضايانا الحقيقية واهتماماتنا المُباشرة ولا نبحث عن قضايا وهموم مُصطنعة تُرهق عقولنا دون أدنى طائل، فحرياً بنا تسخير كل جهودنا لحل مشاكلنا وليس مشاكل الغير مهما كان هذا الغير مُهماً لبعضنا الذي إفتتن به وحاكاه.

لا أحب الغموض في الكتابة والتراكيب الصعبة التي تحتاج إلى كشافات إضافية تُسلط عليها حتى نتمكن من سبر أغوارها، وربما لن ننجح في إبرازها – بُعدها عنا وعن همومنا ومزاجيتها المُتقلبة دائماً، وعديد الإسقاطات التي تتركبها والإيحاءات التي تحتويها والرمزية التي تذهب بها كل مذهب.

ما أروع الأدب الواضح الجلي بجميع أجناسه الذي يحمل في طياته مصباحاً مُنيراً مُبهراً لايؤذي العقول والعيون يفصح عن مكنونه ومخزونه دون أن نلجأ إلى الاستعانة بغيره يكون لنا عوناً في توضيح الرؤية وتلمس طرقاته ومُلامسة جنباته، فمن منا يُحب أن يُقاد أو أن يستعين بعُكاز.

بعملنا ذاك وبغفلتنا تلك نكون كمن هرب من الحفرة فسقط في البئر نحن ندفعها للأمام نريد لها البقاء وأن تتخلص من جمودها لتحمل ببديلٍ لها يكون سليماً مُعافى لا تلحقُ به تشوهات المرحلة الراهنة التي كل أفكارها وإنتاجاتها عرجاء، إنها أليّق وأجدر نظراً إلى سفر مراراتنا وسجل هزائمنا وصحائف كبواتنا التي استعصت على التنظيف والتطهير، إن تقاعسنا عنه الآن فلن نستطيع أن نخطو أي خطوة للأمام وكان أداة تُعرقل أي تقدم ننشده، إنها مرحلة يشهد

بفسادها وبوارها القاصي والداني، لابد من خلق الأجواء المناسبة لنمو أي فكر دون قيود أو حدود ساعتها فقط يستطيع الأديب الحاذق أن يدق أوتاد عمله الأدبي عميقاً ليظل راسخاً قوياً ولن يتأتي له ذلك ما دام فاقداً لحميمية التواصل لمن هم حوله ومن هم أعلى منه في رأس الهرم، هو معهم وبهم حلقة متصلة لا إنفصام لها كالثعبان يعض ذنبه أو ذيله.

إن دور المتلقي لايقل أهمية عن دور الكاتب إن أهميته تكمن في كونه عنصراً أساسياً في العملية الأدبية ولايكتمل المشهد الثقافي والتحريض على القراءة وخلق أجواء مُناسبة لها، فالقراءة سكون من ذهب والكتابة كلام من فضة ونحن نعي جيداً أفضلية الاستماع على الكلام وأنه من الخير لك الاستماع كثيراً والتكلم قليلاً.

ولضمان تفاعل المتلقي مع ما ينتجه الكاتب أو الأديب هو شمول تلك الإنتاجات والإبداعات بكامل احتياجات المجتمع ككل وكوحدة واحدة، وأن تكون له مُفيدة لا تخرج عن إطار كوامنه ولواعجه ومبعث آماله تسمو به فوق كل نقائص هذه المرحلة ولكي يكون للمتلقي نشاطاً بارزاً لابد من خلق بيئة نظيفة ومتكاثفة تسمح له بحرية الإختيار والقدرة على التمييز، فمتى وصلنا لهذا الهدف نكون قد أطّرنا لمرحلة سوية تخلو من الشوائب التي تحُدثها التداخلات غير المرغوب فيها من الطرفين الكاتب وأيضاً المتلقي الواعي بكل ما يحيط به ونبذ كل ما هو ضار من تلقاء نفسه دون وصاية من أحد وبدون إملاء أية شروط عندها فقط نستطيع أن نقول على أنفسنا أننا بدأنا أول خطواتنا في عالم المرحلة المزدهرة الخالية من أي رقابة جائرة أو على الأقل بيئة صحية نظيفة قادرة على الحياة والإحياء ومن ثم الخلق والإبداع.

إن الأدب الواقعي هو الأصلح وهو الأ بقىّ حتى وإن لم يعتادهُ قُراء أدب الروايات المُثيرة البوليسية التشويقية الذينَ يعشِقونَ المُطاردة والتخفي في كل شيء ومع كُل أمر، مايُلاقيه الأديب من تحديات وضغوطات ومهما كان من أمر فإن واجبهُ يُحتم عليه التصريح بحقيقة الحياة المُعاشة من غير أي رتوش ولا عمليات تجميل أو ترقيع وليست تلك المنسوجة من خيال، وهل عقُمت دُنيانا وجف ضرعُها حتى نستولد الوهم ونعتصر أثدائهِ.

إن بنا من هموم وأحزان وقضايا ما يكفى لأكوان أخرى نُحاول جاهدين إكتشافهم وتصدير مابنا من أوزار إليهم.

إبراهيم معمر البقار

بني وليد 2010ف

سما يوسف الدويشي

جنّ للبيع

في حياتك التي يلُفها البؤس واليأس والعوز والأمنيات والطموحات الكبيرة والتي تقف عاجزا ومشلولا عن تحقيقها ، أو حتي تحقيق أدناها ليس عجزا فيك ومنك أو تقصير حيال ذلك ولكن نتيجة عوامل عديدة تظافرت جهودها وإتحدت في وجهك وأتخذت موقفا عدائيا ، أعيتك الحيلة في إقناع دُنياك بتغييره ولكن دون جدوى ، فهي مُصرة بل عاقدة العزم على تحديك ، وكسر كل مجاديف الأمل لديك في أوقاتك العصيبة المُرهقة تفقد السيطرة على أمورك تقترب كثيرا من فقد عقلك وتركيزك وأيظاً صوابك عندما تُعقد عليك أمورا كثيرة وتمني نفسك بالمُعجزات والأمنيات وأنت مُقيد في بوتقة الهزائم المريرة ، مربوطا بحبل الخيبات مشدودا إليها على الدوام ، يصيبك فراغ رهيب وقاتل يُقعدك حتي عن الحركة تفقد توازنك ، تسيطر عليك أمورا غريبة لم تعهدها ، تكاد ترفع رايتك مُعلنا إستسلامك القبيح ، وفشلك الذريع ولكنك لاتريد السقوط الى الهاوية ، فهي مريرة وقعرها بعيد والخروج منها أصعب بكثير مما تتصور وممارتغب يفوق مجرد المحاولة التي تكون قد منيت نفسك بها وأنك قادرا على خوض تجربتها الفظيعة .ساعات الفشل قاتمة وكئيبة وسيطرتها على الإنسان أسرع بكثير من سنوات الفرح ولو طالت ، للفشل قدرة عجيبة وغريبة في تلوين حياتنا بلونه الأسود الكريه في لحظات معدودة كقطرات قليلة من الحبر في إناء واسع من الماء، سرعان ماتُسيطر تلك

القطرات على كل شيئ وفي ثواني قليلة، كذلك الحزن والفشل واليأس وخيبات الأمل وإنكساراتك وهزائمك تجعلك فاقد لكل شيئ ،، وبدون أي شيئ . ومستعدا لفعل أي شيئ حتي الغريب منه والمعقول واللا معقول والجنوني ، والغير محسوب ومحمود العواقب تدفعك ألآمك وجراحاتك مُغمض العينين الى الوراء الي دائرة أنت تكرهها جدا وتود لو أُتيحت لك الفرصة للفرار منها فهي بغيضة ومُميتة ، عندما تُكشر في وجهك الأيام وتركلك بقسوة مؤلمة وتستنزف كل حيلك وتجاربك ومهاراتك وتقطع عليك كل الطرق والمسارب وتقودك في سرعة مجنونة إلى الضوضاء والفوضى والعدم والعجز، عندما تمُلك الدنيا وتكرهك تقبض على خناقك في قسوة لاتُطاق وتجرك وراءها في إستهتار مجنون وتُلقي بك في غيابات جُبها السحيق اللعين ، غير عابئة بك ولا بعويلك وبُكائك تشعر ساعتها إنك فعلا غير ذي وزن، مهان وجريح وإنك غير مرغوب فيك .تزدريك الحياة ويقشعر بدنها الحريري من رؤياك هل للحياة معنى ؟هل للدنيا قلب تميز به تحب وتكره تعرف ولا تعرف ؟ تقبل ولا تقبل ؟ من تعشُقه تضمه الي صدرها في حنو بالغ ،ومن تزدريه وتُبغضه تدهسهُ بأقدامها الغليظة القبيحة والموجعة في غير رحمة ،هل القدر يُبصر أم أنه مُصاب بالعمي ؟ هل يتدخل ؟ هل تستقيم الأمور على يديه ؟ هل في ذلك حكمة وعظة ودرس لم يفهمه أبدا ،هل كل ذلك أكبر منه ويستحيل عليه إستيعابه ؟ أو حتى إدراكه أو أن كل شيئ مُقدر ومحتوم، لابد أن يحدث في النهاية فالحياة مدرسة يجب أن تتعلم فيها أهم درس في صفوفها الأولى ((لاتعتمد على أحد غير نفسك)) هذا مؤلم ولكنه الحقيقة وكلما تعلمته بسرعة كان ذلك أفضل فوق رأسك يوجد شيئ قريب يتبعك يترصدك يُحصي عليك كل أمورك ، حولك قوة هائلة قوية هي من تتدبر شؤنك تشدُك وترخيك ، هي من

تجمع كل مُبعثر في نهاية المطاف فلا تتعب نفسك وترهقها فللحياة قواعد لاتستطيع أن تفعل أي شيئ تُريد فهناك النظام والإنضباط فلن تقدر على خرقهما مهما حاولت وكيفما وأينما إتجهت فلن تحصد إلا ما زرع لك رغُما عن أنفك، جميلا ودقيقا كان أم أفطسا ومفلطحا قبيحا لأنك لم تختاره، فهو أيضا على الرغم منك ومن أنفك ،عرفه عليه صديقه(علي) ذات مساء ،رجُلا مُسن في الستين من عمره، أسود اللون ضخم الجُثة يقطُن غرفة متواضعة في أحد الفنادق الشعبية الأكثر تواضعا . فوضى عارمة ورهيبة وغير مُريحة تعم غرفته، حتي على سريره الوحيد ستجد أشياء وحاجيات في غير نظام ولا تنسيق، ستنتابُك الدهشة من أشياء غريبة مرصوصة هنا وهُناك ومُعلقة فوق وعلى الحائط وعلى الأرضية ، مما يجعلك تنتبه جيدا قبل أن تُبدل خطواتك وأنت تهم بالدخول خشية أن توقع شيئا يتضح فيما بعد أنه غالي الثمن ونادر ، وبذلك تكون قد ورطت نفسك مع هذا الرجل المُسن قليل الكلام وبالطبع قليل الابتسام، فهو بالتاكيد لا يُحب من يعبث بأشياءه وحاجياته التي تعب كثيرا في إعدادها وتحضيرها وكلفت أصحابها مبالغا طائلة ، (راهو اليوم عندنا موعد مع عمك جمعة راك تنسى)(راك تنسى إنت ولا ترقد كان مانمشولاش في الموعد معاش تلقاه فاضي) ، يقول ،،إبراهيم،، في تأكيد إهتمامه بالموضوع(باهي .شنو صار إلقيت إللي قال عليهن ؟) (إلقيتهن زوز عودان جلب أهن إمعاي غير ماطوولش) وفي طريقهم إليه حسب الموعد يتساءل إبراهيم في تردد ظاهر (من أمتي تعرفه هالفقي ياعليوة ؟) من أربع خمس إسنين خيره ؟.) (شنو برنامجه بالزيط زعمك يقدر ولا غير بيتعبنا ؟) (والله ماني عارف ؟ إحنا إنجربوا شنو خاسرين ؟) (إيح شنو خاسرين، خاسرين ثلثمية دينار وشهرين تسبيح ومش عارف شنو

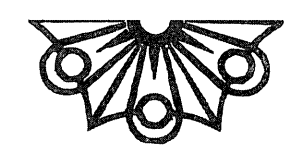
أخر فيها شهرين دُعاء وتسبيح ولا ماسمعتاش ؟)(توه إنشوفوه بالك إينقصهن يقول ،،علي ،، في شبه إبتسامة (إيح غير أعبى إسمعته زين قال ضروري منهن) يصلان إلى فُندقه ويسألان عنهُ في الإستعلامات بعد أن يُراقبا نافذة غرفته من الخارج ويتأكدان من وجوده فهي مُضاءة وهذا مايُخبرهم به عامل البدالة ايضاً، يطرق ،،علي ،،باب غُرفته طرقات خفيفة ((منوو)) يقول الحاج جمعة بصوت مُرتفع قليلا ((علي ياحاج شنو حالك ؟)) ((هي دقيقة غير عندي إضيوف راجي شوية))وما يلبث أن تخرُج من عنده إمرأتان في متوسط العمر إحداهما على قدر كبير من الجمال والأنوثة فيدلفُان عليه غرفته بعد أن إنصرفتا وبقايا رائحة البخور تفوح في المكان، ولكن رائحة عطر ضيفتيه النفاذ كان أقوى ((السلام عليكم شنو حالك ياعمي جمعة؟)) الحمد لله يرد وهو منُشغل في ربط صُرة متوسطة ويحاول تعليقها على الجدار خلف سريره ،((قعمز ياعلي خيركم واقفين ؟)) ((أهنا زوز عودان الإلي طلبتهن ياعمي جمعة ؟)) ((إلقيتوهن باهي إشوية أهن حتى لوريقات واتيات.)) ((توا كيف بالزبط ياحاج جمعة انديروا؟)) يقول ،،براهيم ،،في إنتباه((مافيش كيف زي ما قلتلكم تمشوا على التسابيح المكتوبة شهرين بعدين إنشوفوا كان فيه قبول ولا لا ؟)) ((شهرين شهرين مافيش أقل ياحاج جمعة ؟)) يقول ،،علي ،، وإبتسامة عريضة تُغطي وجهه ، ((إنت عارفني،، ياعلي،، هالأمور مش بيدي ولا هي بيدك ،، المهم تمشوا فيهن إكويس، كل ليلة يندارن مع بخور أي بخور)) ((لو كان الواحد أُغُلط كيف إيدير ياحاج إيعاودهن ؟))

يتساءل،، إبراهيم،، مستوضحا ((ليش يغلط ماهو مكتوبات قدامك في ورقة وإلا أحفظهن ؟)) ((توا معليشي ياحاج بعد شهرين كان أحيانا الله معاش فيه مُشكلة أمتى ماتطلبه إيجي ويدير إللي إتقوله عليه

قالها ،،إبراهيم،، وعيناه لاتُفارق وجه الفقي الحاج ((إيبيه)) ﰲ تأكيد من ،الحـاج، ((لكن لازم يوثقوا فيكم ﰲ هالشهرين)) ((إن شاء اللّه ياحاج شنو ودك يالعمى، المُهم الواحد يستفاد)) يقول ،،علي ،،ذلك وهو يهم بالنهوض ويدس ورقة تعليماته ﰲ جيبه ((هي إتوصي شي ياعمي جمعة ؟)) ((سلامتك وصيتك على زيت زيتون ولمس شنو حصلته ؟)) ((توا إنجيبهلك غدوة ولا بعد غدوة إن شاء اللّه)) ((هي تصبح على خير ياشيخ جمعة)) يقولها،، إبراهيم،، وهو يجذب باب الغرفة خلفه كما أوصاه قاطنها . يُغادرانه وﰲ طريقهم الى الدرج الذي يشغل حيزا ﰲ مُنتصف الفندق يلمحان باب احدى الغُرف مواربا قليلا وتظهر ﰲ منتصفها فتاتان ﰲ لباس النوم غاية ﰲ الجمال ((عرفتهن هادينا إللي إلقيناهن ﰲ حجرة الحاج جمعة المرة إللي فاتت))يقول ،،علي ،،وهو يلتفت الى تلك الغرفة محاولا رؤية المزيد ، ولكنه لايستطيع لأن الوضع لايسمح بذلك ((أمانا منو بيجيه شيخ الأزهر، إنزل تريح عليك ورطة تورطنا فيها مع شيخ البلح إمتاعك)) ﰲ ضحكة عالية وهو يدفع صديقه ،،علي ،،علي سلالم الفُندق مازحا واحثا إياه على الإسراع قليلا ، تمضي عدة أيام على تلك الزيارة حرصا خلالها على تنفيذ تعليمات شيخهم بدقة متناهية وكما قال حرفيا بدون أي زيادة أو نقصان ، لأن أي خلل يطرأ على هذه الوصفة يجعلها عُرضة للأنهيار تماما وهذا مالا يُريدانه أادا فقد قطعا نصف المسافة تقريبا ﰲ إتمام مُهمتهما الصعبة هذه ،وما كان يشدُ من أزرهما ويعطيهما بعض العزاء أنهما إعتادا على تلك الطقوس وترديد تلك التسابيح الغريبة بسهولة أكثر من السابق وأن مُرادهما الذي دفعا من أجله المال وبذلا فيه كل جُهد يستحق مثل هذا العناء وأكثر ، ففرصة إشتراء وإمتلاك ،،جن،، مكتبي يُجيد إنهاء كل المُعاملات الرسمية فُرصة ذهبية لأتُتاح لكثير من الناس .

فما عليهم إلا التحلي بقليل من الصبر فهم قاب قوسين أو أدنى من تحقيق هذه الأُمنية الغالية التي ستُعينهم عليى تلك الظروف الصعبة التي يمرون بها وتجعل من جميع الأبواب المُقفلة في وجوههم مُشرعة ومفتوحة أمامهم على مصراعيها ،، هكذا قال لهم الشيخ ،،جمعة ،، مرت المُدة والمُهلة المطلوبة التي يُفترض أن ينالوا خلالها الرضى والقبول ،،ولم يحدث أي شيئ يُذكر خلالها ،، أزعجهم ذلك جدا وأغضبهم كثيرا، صعدوا إليه في غرفته أكثر من مرة ولم يُحالفهم الحظ في إيجاده ،، ولكن هذه المرة تمكنوا من العثور عليه بعد تحريات مُضنية وبعد نقاش طويل حاول فيه إيهامهم بأنهم لابد وأن إرتكبوا خطأ ما، لذلك لم ينالوا مُبتغاهم ، كان نقاشهُ عقيما وحججهُ واهية ومُترددة وكان الشك يُغطي صوته كله ،، لحظتها أدركوا أخيرا أنهم وقعوا تحت سيطرة نصاب كبير كل هذه المدة وإبتزازه لهم وأنهم أخطأوا جدا عندما لجأوا إليه ففاقد الشيئ لايُعطيه ، تركوه بعد أن إستردوا مالهم منه، وهم يغادرونه كان أحدهم يهمُ بالدخول عليه (يذهب الجافل وياتي الغافل) هكذا هي الحياة دائما ،،

علي يوسف الكوبي



جنازة عام

إستيقظ محمود هذا الصباح على وقع حبات المطر الغزير التى كانت تحدث صوتا جميلاً على خزان بيتهم الحديدي تشتد مرة وتخف أخرى،،،آه ،،،كم يحب صوته الرائع، قذف لحافه الثقيل جانباً ووثب مسرعاً إلى إحدى النوافذ حتى لا يفوته هذا المنظر السحري الذي يُحبه كثيراً، ويتفائل به جداً يدعو لأمه ولوالده ولإخوته ولنفسه وللناس كلهم فهو يعرف أن الدعاء مُجاب عند نزول المطر كما سمع وفهم، غسل وجهه وإرتدى ملابسه بسُرعة بعد أن إرتشف رشيفات خاطفة من قهوته وغادر منزله بسرعة وقرر أن يكون وحيداً فى يومه هذا أثناء تجواله وتسكعه فى أزقة وشوارع، مدينته التي يعشُقها والتي يغسلها المطر ويلفها السحاب الكثيف في مثل هذا الوقت يريد أن يكون وحيداً فى يومه لأن لهذا اليوم خصوصية كبيرة في نفسه لايريد للمتطفلين أن يُفسدوا عليه وحدته لأي سبب من الأسباب فهو اليوم الأ خير من هذا العام، يوما له وقعاً خاص فى نفسه فى ذاكرته فى أيامه حلوها ومرها، لم يبقى منه إلا ساعات محدودة يُشيعه بعدها إلى مثواه الأخير بعد أن يلفظ آخر أنفاسه الكريهة في جنازة ليست كالجنائز، وسيُعد له قبراً لايشبه القبور التي نعرفها وسيقف عليه قُبالة رأسه ليُحاسبه ويُقاضيه عن كل شهوره وأسابيعه وأيامه وساعاته ودقائقه المريرة ،عن حرمانه عن قسوته وسطوته عن وعوده التى ما أوفى بها أبداً سيسأله

عن خذلانه له، عن كل الطعنات التي تلقاها منه عن كل الخيبات التي ألحقها به، عن فشله وعجزه في أن يُحقق له أياً من وعوده التي طالما وعده بها عن آمانيه عن طموحاته عن خيره الذي بشره به يوم ميلاده يوم أن أستقبله بالفرح والزغاريد والدعاء .

عن قسمه له أن يكون عاماً سعيداً، سيُحاسبه حساباً عسيراً لن يغفر له أي صغيرة أو كبيرة إرتكبها فى حقه، لن ينسى له قسوته وصفعاته المُتكررة وركلاته الحارة المؤلمة وخيبات أمله ولعناته التى طاردته في كل يوماً من أيامه كالحة السواد، سُيبكيه كما أبكاه بحرقة من جروح أجترحها فى نفسه، لن يبكي عليه أبداً، ولكنه سيبكي منه لخطايا إقترفها فى حقه، من ألاماً إحتفرها أخاديد فى قلبه وكبده سيُقاضيه عن كل هفواته وزلاته إتجاهه، سيكسر قلبه إن كان له قلب كما كسر قلبه، سيقول له فى وجهه وعينه إنه كذاب كبير ودجال حقير وآفاق خطير، سيتلذذ كثيراً وهو يراه يحتضر، سيشمت به ولن تأخُذه به رأفة و لا رحمة، يريده أن يعرف بإنه يكرهه جداً ويمقُته وأنه لن يسامحه أبداً، سيقول له إرحل غير مأسوف عليك أيُها النصاب،، نعم لقد نصبت وكذبت ودجلت وأخلفت وخذلت وقسوت وسطوت ومنعت وحرمت وأخذت ولم تعطي شيئاً، فبأي أعيناً تريدني أن أبكيك وأي دموعاً تريدني أن أذرفها عليك، وأنت لم تأخذك بي أية رحمة إرحل أيها القاسي قلباً ويداً، سأهيلُ عليك الحجارة الثقيلة سأبصُق على وجهك الكريه، وأفقأ عينيك الشريرتين وسأتبول على قبرك، بماذا سأذكُرك بتجاعيد تركتها على وجهى أم بشيباً زرعته فى رأسي، فلترحل أيها البغيض غير مبكياً عليك، تُرافقك اللعنات، وكما تقول أمي فى ثورات غضبها (إمشي ثقيلة على قلبك) .

إستقبلناك بالدعاء

بالتضرع إلى الله

أن تكون عاماً سعيداً

عاما مليئاً بالفرح بالأمنيات

لا نملك شجرة الميلاد

ولكننا علقنا زينتها على قلوبنا

وأضئناها فأضاء الكون كله

نرجوك نتوسل إليك ألا تخذُلنا

وألا تكسر قلوبنا وتخيب رجاءنا

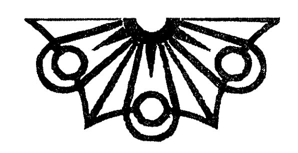
أن تعطينا و لا تحرمنا أن تجلب لنا في جعبتك سعادة إفتقدناها طويلاً

وأن تحُيي فينا آمالاً قد ماتت

وأن تُخمد نيراناً مجنونة كادت أن تحُرق العالم

ولكنك لم تفعل

طرابلس في 31 / 12 / 2007 ف .



رحم الله عليّاً

إختطفته يد المنون من بين ظهرانينا وهو في ريعان شبابه ، زهرةً لم يكتمل تفتحها بعد ،أقتلعها الموت على حين غفلة من الجميع ، وردة لم تتم دورتها تنضح بالحياة والقوة والجمال، مُقبلة على الدنيا في فرح عارم، لم يدر في خُلدها أبداً ما كان يُدبر لها في خفاء الغيب وما تخبئه لها الأيام وما نسجته لها يد المنون من شراك للإيقاع بها بهذه السرعة المُفجعة التي فاجأت بها كل المحيطين حوله، إستلته من تربة الحياة التي يُحبها كثيراً ويعشقها أكثر ،،كان مرحاً ،،كان فرحاً ،، كان ضحوكاً بشوشاً ،،وفوق ذلك كله كان مُحباً ومحبوباً منا جميعاً، كان فتياً وقوياً وكان أبعد من يكون عن المرض، ولكن الأوان كان قد فات لأن ينتبه لمخالب هذا المرض الخبيث اللعين وهى تُطبق على عنقه في وحشية رهيبة تقتلع منه أعز ما يملك في أروع سنين عمره التي لم يتسنى له أن يفرح بها كثيراً .

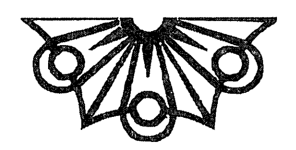
كان لي نعم الأخ وأعز صديق الذي يُعتمد عليه في المُلمات والشدائد ويقاسمه أفراحه وأحزانه، تجمعه به ذكريات حلوة وجميلة ولحظات أسعد من السعادة، كان توأماً لروحه ،،كان وسيماً بهي الطلعة جميل الصورة قلباً وقالباً، عرفه مُنذ عشرة سنوات قبل رحيله المؤلم لم يفترقا خلالها كثيراً فقد كانا يسكنان نفس المكان الذي جمعهم طيلة سنواتهم تلك، لا يمُر عليهما يوماً إلا ويتقاسمان حلوه أو مُره ،، عشائه أو غذائه وأحياناً كثيرة حتى مبيته

يا ألله ،،، كم يُعذبني فراقك،، يا على،، أيُها الصديق العزيز يا أوفى الأوفياء ،،وكم تؤلمني ذكريات تقفز في قلبي وعقلي كلما مررت على أماكن عرفتنا معاً وشوارع مشينا فيها مترافقين أو مشاوير أتممناها سويةً، ننسج أحلاماً وردية لغداً تمنيناه مُشرقاً فأسرع إلينا هذا الغد بعكس ما رجوناه ممُتطياً ظلاماً وظُلمة وقسوة ليخطفك منا ويمضي بعيداً متوارياً عن الأنظار في سرعة البرق، فسنواتى معك مرت كلامعة البرق خاطفة ،، فكُل جميلاً يمُر سريعاً خفيفاً لا يُثقل على أحد .

وهكذا كانت حياتك جميلة وقصيرة وسريعة ولكنها مليئة بالذكريات الحلوة الرائعة عنك ومعك.

رحم الله علياً رحمة واسعة وجمعنا به في مستقر رحمته .

- يا أيها الذي أنا قادم إليه
- محمولاً فوق الأعناق
- لقد أذاقوني كل العذابات
- كل الصدمات
- رجائي وأملي أن تكون أفضل منهم
- فتُرفق ني وتمسح بيدك على رأسي
- وتدعني أستريح
- فطيبُ لقيُأك تُنسيني مرارة الطريق

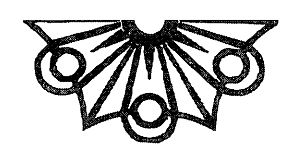


زمن حلول اللّعنة

في خضم الضوضاء وقعقعة الضجيج وصُخب الفوضى العارمة وإنهيار كل الثوابت والمُسلمات وإلتزام الصمت والمكان والزمان من الفاعلين والمؤثرين في حركة الحركة الدؤبة المؤثرة والمُغيرة التي لايُحسن بها الجمود والإنقطاع ، وفي زمن تتفرق فيه السبل وتتشعب فيه الأراء وتكثر فيه الفتن المزلزلة، الزمن الذي تُلجم فيه ألسنة المفكرون المُصلحون ويُطلق فيه العنان لأشداق الثرثارون الجُهال الفاسدون المُفسدون في هذا الزمن الذي تكسوه العفونة وتموت فيه الأمانة وتحيا فيه الخيانة، في هذا الزمن الذي تنعكس فيه الأمور وتنقلب الحقائق أكاذيب وأوهام وتتبدل الطباع الخيرة الجميلة الي قبائح ورذائل ،، يازمن حلول اللعنة ،، فيك يختفي الصادقون الشرفاء، ويسودك هرج ومرج الدجالون يازمن الظُلمة والظلم والظلام يازمن التباغظ والتنافر والفرقة ،، يازمن إستشراء الباطل ونكوص الحق ،، يازمن القبح والقسوة والجهل وتعاظم الجُهال ،، يازمن حضور الرذائل بكُل صفاقة ونفور وغياب الفضائل وجفافها في أعمارنا يازمن الهزيمة والهروب والفرار والخوف والإختباء ،، يازمن برودة الدماء يازمنا تحول فيه الفحول الى نعاج وإستنوق فيه الجمل . يازمناً ضاع فيه الحق وتلاشى وتعاظم فيه الباطل وإستوضح ،، يازمن فساد الأخلاق والضمائر ،، يازمن إختلاف كل شيئ وضياع كل شيئ، يازمن تناسل المصائب والمكاره وتكاثرها يازمن إختناق الفرحة وجريان الدمعة يازمن

الدسائس والمكائد والتآمر ،، يازمن الخنوع والإستسلام والخوف والتراجع ،، يازمناً ساد فيه أشباه الرجال ،، يازمن الموت البطيئ . يازمن المرارة ياقبيح الوجه والقلب والقالب ياكريه الرائحة أيها الزمن الملعون ..،يازمن النفاق يا زمن حلول اللعنة ،،،،،،((عليك اللعنة))

طرابلس ..... 3 / 3 / 2008 م .



والدي

تربُطه بوالده علاقة متذبذبة وغير مستقرة تتأرجح بين الصرامة والتسامح الحذر المشروط بأوامر ونواهـي لا حصر لها، علاقة يُلازمها الخوف في كل مراحلها، الخوف منه ومن صرامته ومن مزاجه المُتعكر أحياناً كثيرة، ومن عدم رضاه المُتكرر، فلم يعرف يوماً أنه كسر له أمراً وكذلك لم ينل رضاه إلا في مرات يتيمة، فهذه أمنية لاتتحقق دائماً علاقته بوالده علاقة هى أقرب للجافة ،،باردة وغير مستقرة، فوالده تربي يتيماً وحيداً قست عليه الحياة بظروفها الصعبة التى لا ترحم كما أخبره ذات مرة، ربما إكتسب هذه الصرامة المفرطة من حياة يُتمه وعوزه وجُور الأيام عليه، فلقد عانى صنوفاً من الهموم والحرمان باكراً وهو لايزال غض العود، لم يجد فى محيطه من يُعينه على جور أيامه، علاقته بوالده فى صباه مليئة بالخوف والحذر والترقب فالحياة عنده جادة واللعب فيها نوعاً من أنواع الترف والكماليات الزائدة كان يتحاشاه كثيراً ويتمنى من الله أن يمر اليوم دون أية منغصات فما أسهل أن يتعكر مزاج والده من أبسط الأمور وأتفهها ، كان قاسياً بعض الشئ فى تعامله معه ، كان كثير الأوامر والتحذيرات ربما كان ينتقم لطفولته البائسة المحرومة ، أرتائ هذا الأسلوب كأسلوب ناجع للتربية حسب وجهة نظره وتجربته فى الحياة، كان دائما يقول أن التربية الجادة والصارمة هى التي تصنع الرجال وتحافظ على الأخلاق الحميدة السامية التي يجب أن يتحلى بها كل إنسان، وأن التهاون وعدم

الشدة مفسدة عظيمة يريد أن يجنبنا إياها،، كان كثير المُحاظرات وسرد القصص التي يرى أنها تحمل العبر والعظات والمواقف البطولية المشرفة التي يجب أن نقتدي بها على الدوام إن أردنا النجاح فى حياتنا ،، كان كثيراً مايسوق الأمثلة ويستشهد بها بمناسبة ودون مناسبة ، كُنت أُخفي عنه أموراً كثيرةً تتعلق بدراستي مخافة ألا تعجبه فيهب ثائراً وغاضباً ومُعاقباً فوالدي كان شديد التحمس للتعليم لايقبل أي عذراً او تهاون في هذه الأمور، كان دائما يوصيني ويحثني على إحترام المعلمين وتقديسهم وإجلالهم وأنهم فى مثابة الأب بل أفضل وأحسن ، مع هذه الصرامة والشدة كان مثالاً رائعاً يُقتدى به وقدوة حسنة ، فلم أشاهده يوماً يتشاجر مع أحداً من جيراننا أو أقاربنا أو أحداً من الناس، كان حلو المعشر معهم وكريماً جداً كان شعاره المفضل عاشر الناس بخُلق حسن حتى تكسب مودتهم وإحترامهم وتُرضي خالقك فى عليائه، لذلك كان كثير الصداقات ومحبوباً،، مرت السنون وهو على حاله لا يتغير وتقدم به العمر وخفت حدته وصرامته تدريجياً وصار يأخذ مني موقف الموجه والمُرشد الذي لابد من تدخله فى بعض الأحيان كي تستقيم الأمور وتعود إلى نصابها،، إنتقل إلى رحمة الله ومغفرته وعرفت بعد رحيله ما كان يقصده بهذه المعاملة الجافة وهذه التربية الصارمة .

خاصة بعد أن رأيت نتائج تربية كانت توصف في ذلك الوقت بالمتسامحة والمُدللة بعض الشيئ، فكانت وبالاً وخيماً على الأباء قبل الأبناء، لأن غياب الردع وأسلوب العقاب ولو المعنوي منه جعل الأمور تفلُت من قبضة الآباء .

رحم الله والدي رحمةً واسعة وغفر له وجمعه بوالدتي فى جنات الخُلد وله الشكر والعرفان من كل قلبي على حكمته الصارمة ....؟

أخبرني أبي حكاية ذات يوم

تحمل عظة وتحمل حكمة

ألقاها على مسامعي

فلقد كان أبي كثير الحكايات

كان راويا ماهراً

وخطيباً قديراً

وكان صارماً شديداً

ومُتسامحاً في بعض الأحيان

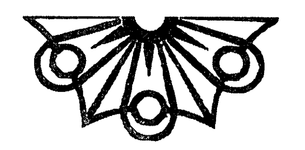
كان عفيفاً لايُحب الظلم

ولا يحب رؤية الأشرار

يُبغضهم يزدريهم ويحتقرهم

ليس برجلاً من ظلم أي إنسان

هكذا لي قال .



خيبة أمل

إنها تُغضبه جدا بتأخرها المتكرر ،،توتره تجعله يعيش تلك الدقائق والتي قد تطول الى الساعة او الساعتان في حالة عصبية شديدة وظاهرة للعيان ،،يلحُظها كل من يجلس حوله أو يمر بالقرب منه، أثناء إنتظاره لها يحتسي عدة أكواب من القهوة السوداء المُرة ، التي ترفع من درجة غليانه عليها ،، يعيد في خياله ترتيب مشهد إستقباله لها مئات المرات إن تكرمت وحضرت ،، فما أكثر المرات التي ضربت بمواعيده عرض الحائط هل يعاتبها أم يبدئ بعض التذمر البسيط أم يثور في وجهها غاضبا ، يتماسك ولا يُظهر أية مشاعر إستياء في حضورها حتي لاتفلت زمام الأمور من يده، وتحصل أمورا لاتحُمد عقباها قد يندم عليها أشد الندم فيما بعد ،،ويتمنى لو أنه لم يتفوه بكلمة عتاب واحدة والتي قد تجر قطيعة لعدة أيام لن يستطيع تحمل عذاباتها وأرق لياليها وحيرتها فهي بالنسبة إليه كالهواء بل هي بالنسبة إليه كل حياته ، فمنذ أن عرفها إنقلبت أموره رأسا على عقب، أحبها من كل قلبه وتملكته وسكنت روحه المُعذبة، فصارت له كل شيئ ومن دونها لن يصير أي شيئ ،، تاه فيها وحيرته قسوتها ولا مُبالاتها أو هكذا ما ظنه أو ما يحس به ،، تعلق بها بجنون ،، يصدق مشاعرها حياله تارة ويُكذب نفسه ألآف المرات يلوم قلبه إنه وثق بها وأحبها ذات يوم يتهيأ له أحيانا أنها غير جادة وأنها غير مُدركة تماما لما يعانيه من حبها وشدة تعلقه بها وتمنى من كل قلبه أن يُسعفه القدر ويخفف

عليه ماهو فيه ،،فهو لم يعد يتحمل قوة حبه لها ،،هذا الحب الجارف الذي سوف يجرف كل حياته ويطمس شخصيته ويُغلق في وجهه كل أبواب الإنتصار عليها ولو لمرة في عمره، فعندما يراها تذوب وتتلاشى كل ثوراته وتسكُن كل غضباته وتهدأ كل برا كينه وتخمد كل حممه الحارقة ويتحول بقدرة قادر الي حمل وديع ،، وتختفي أنياب تكشيرته لتحل محلها إبتسامة الرضا الممزوجة بإذعان غريب وتسري في عروقه مياه باردة بدل الدماء الحارة التي تكاد تُفجر في رأسه ألف نافورة شك وغيرة قاتلة، غيرته عليها لا تُقاس لأنها بدون حدود وفاقت كل تخيل وتصور، غيرة سوداء وقاتمة لم يراها ولم يسمع عنها ولم يقرأها حتى في روايات الحب ولا في قصص العشاق وما أكثرها آه،،، كم تمنى لو بيده إيقاف هذا الحب عند حده ،،عند حجمه،،، آه،،، كم تمنى لو تُسلحه الأيام بسلاح يمُكنه من الفوز عليها ليستعيد وضعه الطبيعي الذي إفتقده طويلا، لينتصر لنفسه ولقلبه الجريح ، لويمده القدر بقوة إسطورية تُغلبه عليها وتُصيرها ضعيفة محتاجة ومتلهفة عليه، أرهقته نفسه المُحبة وسهر لياليه الطويلة وإنتظاره لها وتأخرها المتكرر بعذر وغير عذر، عذبته برودة أعصابها وثورات غضبه التي كانت تسرُها كثيرا وتمدها في طغيانها أكثر

لأنها تشي بضعفه وتفضح إذعانه أمامها وأزداد حبه لها مع مرور الأيام وتعاظمت غيرته وإستشاط غضبا واشتياقا واستنجد بكل شيئ واستعان بالمعقول وغيره حتى السحرة والدجالين عرفته الطرقات إليهم، لقد أخرجته عن طوعه وكاد يُجن ،، تركته وهجرته بعد أن يأست منه فهو لم يتمكن من فهمها ،، لم يتفطن لخطأه الذي وقع فيه إلا بعد مرور فترة من الزمن ليست بالقصيرة ،، عندما راجع كل مواقفها معه وكل تلميحاتها التي لم يستوعب مغزاها وما ترغبه فيها

منه من ورائها، أدرك ساعتها أنه كان غبيا يبحث عن حلولا تجذبها إليه بعيدة والحل الناجح كان بين يديه وتحت قدميه ،،دواءا سحريا لا يُقاوم وهو ما إنتظرته منه طويلا ولكنه بغبائه غير المقصود أفسد كل خططها ومحاولاتها وخيبت ظنه لأنه أحبها بشرف وهكذا أرادها ولكنه فعلا ،،،،،،، أخطأ في العنوان .

. يشتاق إليها بإستمرار

وبجنون يحبها بل يعبدها

ومع ذلك يخشاها يخاف منها

يكره فيها هذا التمرد هذا العنفوان

وذاك الشبق الذي يلمع في عينيها

وتلك النظرات الجائعة والعطشى

التي تعذبه وتؤرق ليله

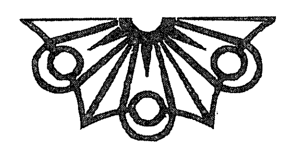
يحاول كاذبا تلميع صورتها

يتمناها قديسة ملائكة ضعيفة.

تحتاجُه تخافه ولكن هيهات.

فهي نمرة

لم تُروض بعد .



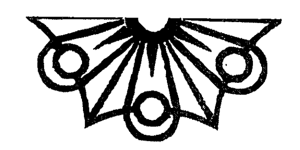
بزوغ في غير أوانه

صغيرتي أيتها الرائعة أنا أعجز عن فهم نفسي ، عن فهم كل مايدور حولي ، أحس بأنني سأسبب الألم لرأسكِ الصغير والجميل ، أيتها الحلوة والرقيقة ياشلالاً من العذوبة ونهراً يتدفق بكل العواطف الجياشة فأنا مجرد بقايا إنسان يحترق كشموع الميلاد أو بالأحرى كشموع المدافن وأكوام القش اليابسة التي إنتشرت فيها ألسنة اللهب وألتهمتها في غير هوادة ، وأنتي ياحلوتي لم تخُلقي لمثل هذه العذابات فقلبكِ الرقيق أصغر من أن يحتمل كل آهاتي وأضعف من أن يجاري كل تلك الأحزان ، ألا تعتقدين بأن الفرق بيننا كبير جدا وشاسع جداً جداً، فأنتي خُلقتي من طينة الأميرات وفيكٍ شيئاً له قدسية بالغة لانراه إلا في القديسات اللائي نذرن أنفُسهن ووهبن حياتهن لذلك الشيئ السامي سمو أرواحهن الطيبة، أميرتي القديسة، ياسليلة الملائكة وفراشات النور أيتها النجمة البعيدة في سماء حياتي المُلبدة بالغيوم كم هو عظيمٌ خوفي منكٍ وعليكٍ ففيكٍ تُختصرُ كل المسافات وتتوه كل خطوط حياتي وأُصبح بلا هوية ولا عنوان، وتذوب سنين عمري المرهقة في بحور عينيكِ لتسيل دموعا حارة على آثار خُطاي التي لم تصل أبداً ،، أنا ذلك الرجل عذرًا ياسيدتي فكل ماترينهُ بقايا رجلٌ أضنتهُ الرحلة وهدته دُنياه المزروعة بأشواكها وماتت فيها كل الورود وضحكات الأيام، أنا قادم من عالم الأرق والألم وكل الجراحات التي تنز هزائم وخيبات ،،المولود بعُسر من رحم الأوجاع وأستقبلته في

قسوة أيدي الحرمان ليجد نفسه في دنيا العدم يترعرع بين أحضان العجز والبؤس وشحوباً في كل شيئ ، أنا القادم ياسيدتي من عالم غير العالم الذي تعرفينه ،، عالمكِ المُزدان بكل الرغبات والرغائب عالماً أنتي فيه الأميرة المُطاعة، لا تشوب حياتكٍ الشوائب ،ولايُكدر صفوها مُكدر، أيتها المولودة في بحور العسل والفاكهة وعوالماً لاتسمعين فيها غير الموسيقى الحالمة العذبة ،ودنيا تزدحم بالحب والرقص،، أما أنا أيتها الأميرة المُصانة فذاكرتي باهتة وشاحبة شحوب سنحتي الصفراء، وحياتي مُغبرة لا تتقافز فيها غير الألام والإنكسارات ،، وأيامي تستجدي إبتسامة وإن كانت يتيمة فلا تفوز بها أنا قادم من العذاب والمكابدة والآّهات ،،من محطات سكنها الموت ذات مرة فأحالها إلى خرائب وقبور وتشعبت فيها الطرقات وتفرقت وتوغلت كثيراً في غياهب العدم ، لقد توقف كل شيئ في حياتي وأصابه التسمر لدرجة أن العقل عجز عن ترجمة الأحاسيس وفقد القلب الإحساس حتى ولو بعد حين، وصار كالالّة الباردة البليدة،،، إيهٍ ،،، أيتها الفخمة الفاخرة ياإبنة الجمال والروعة وقصور الترف وشقشقة العصافير وخرير الماء ياإبنة الراحة الأبدية والموغلة في القدم ، أيتها المُحرمة على الأحزان والأوجاع ، فما عرفت عيناكِ إلا دموع الفرح وهذه أبداً لم تكن مالحة، فليس في الغبطة ملوحة ولا في الجراح عذوبة

ولا في سراياكِ عتمة ولا في قبوري نور ، ياإبنة الضياء والفرح والسخونة أخاف على عالمكِ الملائكي من محطات حياتي الجامدة الباردة وقطار ذكرياتي الباهتة التي إستعصت علي الطي والنسيان

ولكن لكِ الشكر من كل قلبي ،،،،،،،،،، لبزوغكي قي ظلمتي



الملف

آلو،،، ها ،،، وينك يا سي الكورني ،،، بهذه العبارة الساخرة يفتتح مصباح مُعظم مكالماته وأحاديثه مازحا مع اصدقائه المقربين خاصة صديقه الحميم (يونس) الذي تربطه به صحبة وصداقة عميقة منذ عشرون عاما تقريبا هى أحلى سنين عمريهما فهما متقاربان في كل شئ حتى في العمر حلوه ومره والطبقة الاجتماعية المتوسطة ذاتها نشئا في نفس البلدة ومرا بنفس ظروف الطفولة المحرومة والبائسة احيانا كثيرة .

وينك،، إنت ،،يا سي البي ليا ساعة إنراجي فيك بتجي والا ناخد وجهي ؟ ،، يرد يونس في عصبية ظاهرة يلاحظها كل رواد ذلك المقهى المتواضع نفس الوجوه ونفس الملامح ذاتها كل يوم متسمرة على ذات الكراسي في أي لحظة تشاء تمر من ذلك الزقاق تجدهم ،ربما قبل حتي أن يفتح المقهي ابوابه ، يُحدقون في الفضاء ينفثون دخان سجائرهم عاليا يتتبعونه بأبصارهم الزائغة وكأن الموت فاردا جناحيه فوق رووسهم تمر عليهم دقائق صمت رهيبة لايقطعها أي شيء على الاطلاق سوى همهمات بسيطة وخافتة وحفيف أقدام تحمل أجسادا مُنهكة مُتعبة غاية التعب ترتمي على تلك الكراسي الخشبية القاسية وهي تُطلق صوتا خافتا مع أنة إرتياح لذيذة وكأنه قطع مسافات ومسافات حتي انهكه التعب،، وأخيرا صادفه ذلك الكرسي ليرمي عليه أوجاع سنواته الكالحة ،،ينظر إليهم يونس مليا تعتريه الدهشة أحيانا والأستغراب

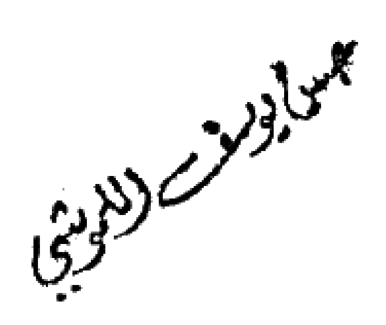
تارة كيف يتدبر هؤلاء أمورهم الحياتية ؟،، وكيف ومن أين يعتاشون ؟،، وهم لايغيبون عن هذه الطاولات المهترئة أبدا، بل قد يختفي بعضها وهم لايغيبون، ينطلق صوت النادل عاليا مزعجا يمُزق ذلك السكون الذي نعموا به مُناديا على طلب لاحد الزبائن ،، شاهيا هنا وعصير بارد هناك ، في إنزعاج ونظرات حارة يبحلقون فيه متمنيين لو تحل به أي مصيبة تأخذه بعيدا عنهم كي يعود اليهم سكونهم الذي أفقدهم إياه بعويله يتساءل يونس في نفسه ،،،ألا يعولون أحدا ،، ألا،، يهتمون بأمر زوجة وأسرة ،،؟ في تثاقل يمد يده من جيب سترته ويستل لفافة تبغ يلقفها بين شفتيه وفي تجهم يجول بعينيه بين الجالسين حوله ،طالبا ولاعة ليشُعل تلك اللعينة في فمه ،،، ربي يعفيك منها ،،،يقول له جاره وهو يمد له يده مُشعلا السيجارة، آمين ،،،إحنا وانت إنشاء الله،،، يرد في وجوم لاباس إنشاء الله خير،،،خيره ،،،إوخينا متكدر،،؟ بالله خليها في سرك شنو عاجبك في هالحالة،،،؟،،، قالها وأشاح بوجهه بعيدا عنه راغبا في إنهاء هذه المحادثة المتطفلة والتي لم تأتي في أوانها بالنسبة له، فلم يجد صاحب الولاعة بُدا من أن يلوذ بالصمت بعد نبرة جاره الجافة بعدها قام وأستدار خارجا من المقهي ،،،،،ياوالله حالة يولعلك سبسي ويخشلك في هداريز فارغة ،،، تربح نوض شوف شغلك راهو المرارة فايضة ،، ينشد على الحال ،،،توا إيشوف فيها إمريقلة ومقلفطة ،،،ولا ماهوش عايش في البلاد،،،؟ عليك بشر مرات ماتتحشمش،، يزوم بشفتيه مبعثرا دخان سيجارته في سماء المقهي الملبد ،،، لم يرغب احداً من الجالسين حوله مجاراته في حديثه أو حتي في التخفيف عنه خوفا من سلاطة لسانه من باب (إبعد عن الشر وغنيله) ،،،السلام عليكم ،،،بصوت واهن يدلف أحدهم إلى المقهى فجأة في كسل وخمول ورغبة في عدم الرد يقول بعضهم ،،،وعليكم السلام،،، تتبعه بعض العيون في

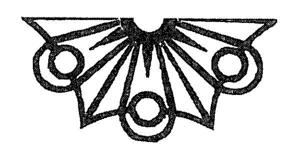
فضول بحذر حتى يُلقي بجسده المُتعب والمُرهق على احد الكراسي في اقصي المقهي ،،مادا قدميه في إعياء شديد على أرضية المقهي التي غاب عنها الماء أسابيع طويلة ،، تنتشر في الأجواء رائحة غريبة وثقيلة هي مزيج من رائحة تبغ رخيصة وزيوت متطايرة من الركن القصي للمقهى الذي يُستخدم لإعداد وجبات سريعة وسندوتشات أبعد ماتكون عن أقل شروط النظافة يقوم بإعدادها طاهي نصف نائم في ملابس رثة ومتسخة،، يسحب الزائر الجديد من بين قدميه المدودتان حقيبة جلدية قام بفردها أمامه على الطاولة ليقوم بعد عُلب الدخان المتبقية ،، فلقد إنتصف النهار ولم يبع أي شيء يُذكر ومازال مشواره طويلا فهو على هذه الحال مُنذ الصباح الباكر ومُنذ أن قدِم الى هذهِ المدينة الغريبة والمكتظة ،، يتجول بين مقاهيها المتواضعة عارضا بِضاعته الأكثر تواضعا على رواد هذه المقاهي البائسين الذين لايجدون في أحيانا كثيرة مايسدون به رمقهم يرمق (يونس) النادل بنظرة إستفسار عن مصير طلبه المُعتاد وفي نباهة غير معتادة منه يبادرالنادل(يونس) قائلا " والله ياباشا حضرتك طالب إكسبريس عصرتين مع النعناع في كباية خارجية ،،ماتقلقش ياباشا بس تسخن الماكينة،، ياودي غير تعالى هاك جيبلنا قرطاس رياضي من هاذاك الراجل قبل مايمشي،،(قرطاس رياضي للباشا يا محمد) رافعا صوته ويده لبائع السجائر ليدله على مكان الزبون ،،إتفضل حضرتك ،،يقول البائع مادا يده بعلبة الدخان مُنتظرا أن يقبض الدينار ،، يدسه في جيب سترته ولسانه يلهج بالشكر والدعاء (ليونس) في لهجة محببة يُتقنها أمثاله فهو زبون شبه دائم لديه ،، يقوم بمغادرة المقهى بعد أن يبيع بعض عُلب الدخان وبعد أن يتبادل أطراف الحديث مع النادل في سرعة الذي يوصيه أن يُبلغ فلانا الذي قد يراه في المقهى المجاور

بأن يمُر عليه لأمر ضروري، وإلى أن يجهز طلبه يؤجل (يونس)إشعال لفافة التبغ التي يتحرق شوقا إليها ولكنها لاتحلو إلا مع إكسبريسه المُرة ،، وعوضا عن ذلك يُلهي نفسه بتأمل صورة حائطية تتدلى على أحد الجدران يعلوها الغُبار الأسود ،،إنها صورة قديمة لهذه المدينة في الخمسينيات او الستينيات ،ربما هي أجمل مراحل عمر هذه المدينة العتيقة حيث تبدو مشرقة وجميلة ونظيفة جدا، كم تمنى(يونس) أن يكون قد عاصر هذه الفترة من عمر مدينته التي يُحبها كثيرا ويشتاق إليها من أحاديث أُنُاس تقدم بهم العمر غايشوا تلك الفترة الرائعة كان يلتقيهم هنا وهناك فيسمع منهم قصصا وحكايات عن روعة هذه المدينة وأهلها الطيبين ويتحسرون على تلك الأيام التي لن تعود ابداً ،، إتفضل ياباشا وسامحنا حضرتك ،، ينتبه (يونس)على صوت النادل الذي دائما يُباغته على حين غرة مُنتزعا إياه من جولاته الحائطية الرائعة في أزقة وشوارع تلك الصورة المعلقة مُلقيا به في واقع ذلك المقهى البائس الذي تكاد سمائه تمُطر من غيوم سجائرهم الخانقة وأبخرة زيوتهم الكريهة ،،، وين السكر،،،؟ يقول(يونس) بحنق مُعترضا على طريقة النادل في إقتحامه عليه خلوته على غفلة منه مما جعل رعشة خفيفة تسري في جسده ،، أهوووه حضرتك،، يرد النادل بعُجالة وينصرف الى زبون أخر في حركة لاتهدأ أبدا طوال النها ر ،، يشتغل(يونس) في تحريك قهوته بعد أن أضاف إليها قليلا من السكر فهو يحبها مُرة بعض الشيء وأشعل لفافته التي طال إنتظاره لها كما طال غياب صديقه (مصباح) الذي ينتظره بفارغ الصبر منذ وقت ليس بالقصير ،، أثناء تناوب سيجارته وكوب قهوته بالتساوي صعودا وهبوطا على شفتيه أخذ (يونس) يُقلب بصره بين رواد هذا المقهى يستعرض الوجوه ويتفقد الغائب منها ، جُل هذه الوجوه مُرهقة ومُتعبة

لعمال بُسطاء يشتغلون يوما وتذبحهم البطالة أياما عديدة يكسرون رتابة حدتها في هذا المقهى وغيره من المقاهي المُشابهة التي تعج بها مدينته التي كانت يوما نظيفة وجميلة . ياتُرى كم قصة وراء كل وجه من الوجوه ،، كم من بطن جائعة تنتظر أن تُرسل إليها هذه الايدي التي تُكبلها البطالة لقمة تقتاتها أو قميصا رخيصا تكسوا به عُري جسدا من أجسادها الضامرة، إنها مئات القصص بل الألاف منها ولن يتسع عمره كله لسماع القليل منها حتى ولو حاول ذلك ،،كم تؤلمه رؤيتهم ،، وكم يتألم من سماع قصصهم وحكاياتهم،، وكم يتمنى لهم من قلبه كل التوفيق والنجاح ،، فليعاونهم الله ،،،يشرد قليلاً بفكره وتأخذه أحصنة خياله الجامحة الى بلدته حيث إخوته وأخواته ووالده وأمه ،،تلك المراة العجوز الطيبة والمريضة ،، يطوف على تقاسيم وجهها الطاهر وتجاعيد جبهتها ويُقبل رأسها الذي تفوح منهُ رائحة الحناء بعبق كثيف ،،، آه ،،،كم إشتقت إليها وإلى أحاديثها الرصينة وحكاياتها الجميلة الرائعة التي تزخر بالحكمة ودعواتها الحارة بأن يفتح الله عليه ويُصلح حاله . كم كابدت تلك العجوزالطيبة من أجله وأجل إخوته ،،، ليُباركها الله أينما كانت ،،، ومع تنهيدة حارة يتمنى ويدعوا الله أن يشفيها وأن يُطيل في عمرها ،، من بين تموجات سحاب دخان سيجارته يلمحُ صديقه (مصباح) مُقبلا من بعيد وفي يده ذلك الملف يحاول تفادي زحام السيارات وتقاطرها من كل صوب، وأخيرا ينجح بعد جُهد كبير أن يلج باب المقهى الذي كان مواربا قليلا ،، ويرتمي بجواره على كرسي كان قد إحتفظ به صديقه (يونس) له ليُجنبه مشقة البحث عن كرسي شاغر ،، ها بشر شنو صار ،،؟ وبعدين معقولة يا(مصباح) ساعة ياراجل يتساءل (يونس) وهو في لهفة عارمة لمعرفة ماحدث بالضبط ،، إلّجيب الغرة غير مايعيشولهاش،، يرد،، (مصباح)

،، وقهقهة عالية تتزاحم مع كلماته على فمه ـ في تقاطع غريب ،،ماصار شيئ تريح فكنا هاديم شكلهم إمتاعين تعب وبس عارف شنو قالولي ؟،،الراجل إمسافر ليه نهارين،، ويقذف بالملف الملتوي من شدة قبضه عليه على الطاولة حتى كاد أن يوقع كوب القهوة الذي إختطفه فجأة ليرتشف منه رشفات مُتتالية وهوينَدُب حظه وحظ صديقه (يونس) بكلمات نابية تطال كل شئ في هذه الدنيا .





برنامج

إستقبلاه بحفاوة وطلبا له كوبا من العصير البارد تبادلا معه عبارات الترحيب المعتادة التي غالبا ما تنتهي بتعارف ولو من بعيد لأحد أقاربه أو أصدقائه أو حتى له هو شخصيا فبذلك يكون سابق المعرفة قائم وموجود، مما يُسهل عليهم عملية التحاور ويُزيل الكلفة بينهم ويساعدهم في إنجاز ماهم بصدده في جو تسوده الراحة بعيدا عن الرسميات والمجاملات ؛ وكم يبرُع صديقه ،، مفتاح ،، في مثل هذه المناسبات في خلق جو من روح الفكاهة وبث الحميمية والأُلفة وإيجاد ألف رابط ورابط فهو دائم الحركة والتجوال لا يفتر أبدا ولن تعوزه الحيلة في هكذا مواقف من إبتكار هذا القاسم المشترك ؛ ولطالما أسعفه وأنقذه وأخذ بيده بعيداً عن مواطن الحرج الكثيرة، تُساعده في ذلك بشاشة لاتُفارق وجهه ونبرة صوته المرح الضاحك تُعينه حركة يديه الدائمة، ونظرات عينيه اللتان تحملان سذاجة محببة وطيبة لا حدود لها، يودعانه على أمل اللقاء به قريبا وفي أسرع وقت، يُلملم حاجياته المُبعثرة على الطاولة ويدسها في جيبه وقبل أن يهم بالوقوف ينتبه إلى بقية باقية من عصير في قعر كوبه فيجترعها في مرة واحدة وينتصب واقفا، يمدُ لهما يده مغادرا مع تمنياته لهما بكل التوفيق ومُلحا عليهما أن يحافظا على الأوراق ويحرصان عليها أشد الحرص كي لا تظيع منهما ويسببان له في إحراج كبير مع صاحب الشأن خاصة وأنها النسخة الأصلية الوحيدة المتبقية لديه ولولا ثقته الكبيرة بهما ما فرط فيها أبدا .

ما أن إبتعد عنهما قليلا حتى نظر،، سالم،، الى صديقه ،، مفتاح ،، نظرة فيها الكثير وإنفجرا ضاحكين بشدة حتى دمعت إعينهما وبعد أن خفتت الضحكات مد،، سالم ،، يده إلى الأوراق يقلبها ويتأكد من أصلية الختم الذي تحمله، وهو يجاهد في حبس ضحكة تكاد تُفلت منه .

● كيف الراي توا ؟ يقول،، مفتاح ،،متسائلا

● هوه... مازال فيها راي بعد ما ورطتنا مع الراجل وخذيت منه الورق يا ودي موضوعه واعر يا إفتوحة ما قلتليش هكي في لول ؛

إرررك شنو هذا ؟ يقول،، سالم ،،مُستغربا

● أمانا شنو تحسابه لعب هكي الشغل ولا لوح، هيا هيا إجبد الهاتف وأفتح عليهم لكتاب وطبس فيهم واحد واحد

● قعمز واهفت ترا . ما يخش عليه حد، صاحبك كابر داه.

حتى كوفي عنان ما يتمهلاش، وين ماشي إوخينا ؟ يرد ،،سالم،، في إقتضاب

● غير شنو بتخسر ؟ ديمه وإنت إمسكرها ،، خوذ جرب يا راجل.

● يافتوحة مش قصة إمسكرها، القصة منو إللي بتكلمه على موضوع كيف أهوا، راهن ملايين، أفهم يا دماغ

● فاهم ..وعـارف.. شنو خايف إمعرق عليهن، إمعقبهله جده هالمخني ،، جرب ياسي الشيخ بالك تصدف وتشد حتى إمريرة باش إنبحبحوك ؟ يُعلق ،،مفتاح،، في سخرية ظاهرة

● يا والله،، مفتاح،، برامج ،، يلتفت سالم يمُنى ويُسرى وهو يجول بعينيه بين رواد ذلك المقهى خشية أن يكون قد سمعهم أحد وهتف في صديقه،، مفتاح،، فجأة قائلا

● هيا نوض كان بتروح حس مرارتي فايضة.

● غير إصبر إشوية خلي إنكملوا هالسبسي ونادي هالتيخسي وخلصه هاذا إللي إيجيك من ورانا، يقولها،، مفتاح،، وهو يضحك بقوة وسحابة كثيفة من دخان لفافته تكاد تُخفي ملامح وجهه تتسبب له في حكة حادة في عينيه مع شرقة خفيفة .

● خلك يا جيفة تستاهل، يقول ،،سالم ،، شامتا ثم يستطرد قائلا

● غيرهيا،،يا مفتاح ،،إذكرت واحد توا نخطموا عليه غاليات عليه هالمشاريع ، وريه الكواغط إمتاعات الملايين إيطير إطياره، حشيشته الأمانات والدوائر الحكومية وإرقايت الدروج، يُعتبر فيها رياضة وخدمة غير انشاء الله نلقوه

● وشنو إتراجيله ،، هيا إستغابط خلي إليسوهلله على جبهته ما دامنه فالح فيهن .

أطفأ،، مفتاح،، سيجارته بسرعة ورتب حزمة الأوراق وأنطلقا خارجين بعد أن سددا ما عليهما للنادل . وفي الطريق إلى الشخص الذي إقترحه(سالم) لم يكفا عن التندر والضحك من صاحب الأوراق ومنظره وهو يشدد عليهما في عمولته وأنه تعب كثيرا في هذا الموضوع ولن يرضى بأقل من اثنين في الميه ..

● إثنين فوق إكتوفك يزدحوا فيك بالعصا ليل نهار يا جيفة

في قهقهة عالية من(مفتاح) حتى كاد يُسبب في عرقلة مرور السيارات

● العصا إللي مش في ظهرك إنت حرام ،، توا هذا شكل إنخلط عليه بُكل ؟

يرد عليه(سالم) ساخرا وهازئا يعرجان في أحد الأزقة الضيقة

ويدلفان بناية قديمة من طابقين، يدق (سالم) الجرس وبعد بُرهة يفتح الباب رجل في العقد الرابع من عمره ، يُسلم عليهما بالأحضان ويجذبهما الى داخل الشقة في ترحاب سائلا عن الحال والأحوال مُعاتبا (سالم) على إنقطاعه عن زيارته في الفترة الاخيرة ،، مُعتذرا عن الفوضى التي عليها الشقة فهو عازب كما يعرف (سالم) متوجها بكلامه ونظراته الى (مفتاح) للتوضيح .

- هذا شيخ العزاب يا سي (مفتاح) وهذا(مفتاح) ولد سيدي .

في عُجالة حاول(سالم) التعريف بينهما لعلمه أن مُضيفهما لا يهتم كثيرا لمثل هذه الشكليات من الأساس لذلك حاول الإختصار قدر الإمكان

- افتكيت والله ما فيش كيف العزوبية ،، سلطان زمانك لاجيب ولا هات بعدين راهو حتى خوتك كيفك مفتكين والله يرد(مفتاح) وهو يحاول الإتكاء على إحدى الوسائد القريبة منه مُبعدا بيده الأكواب وعُلب السجائر الفارغة وغيرها من الفوضى كانت متناثرة هنا وهناك في غير نظام، ليفسح مجالا أكبر حتى يتمكن من تمديد قدميه المُرهقتين جدا من كثرة التسكع والتجوال طوال النهار .

- يضع (براد)الشاهي على الغاز الصغير الموجود بالقرب من فراشه فكل ما يحتاجه قريبا منه .

يُجري بعض التعديلات على تلك الفوضى حتى تُصبح مقبولة نوعا ما وفي متناول يده .

ولا يضطر إلى مُغادرة حجرته إلا لضرورة قصوى،، يستلقي في مهجعه في إنتظار أن يستوي شاهيه.

يُعاود الترحيب بهما بحرارة مُفصحا عن نيته في الإتصال(بسالم) ولكن رقم هاتفه كان قد ضاع منه فلم يجد بُدا من أن يترك له توصية في أكثر من مكان.

• يا سيدي أهو جينا واطمنا عليك إصحيح والحمد لله ..

جايبلك إخديمة على كيف كيفك ،، من زمان إتوصي فيا عليها خاطبه (سالم)وعينا عليه ترقب ردة فعله إزاء ما قاله وعينا على البراد ترقب لحظة غليانُه في تشوق .

• خير انشاءالله،، فيه إحويجة،، راهو ها ليومين السوق متحرك،، وفيه تعليمات من فوق وينظر بعينيه المثقلتين إلى سقف الحجرة بتسوية جميع أمور الشركات والديون المستحقة .

• عيني ولله ،، أهي لحويجة الباهية،، ترا ترا شوف هالملف وقول شنو رايك فيه، تقدر عليه ولا لا ؟

ومد له(مفتاح) الملف بعد أن إنحنى إلى الأمام قليلا خارج مُتكئه حتى يوصله اليه .

وهو ينظر في تلك اللحظة بعين الرضا إلى(سالم) وكأنه يشكرهُ أن قادهُ إلى هكذا رجل يُقدر مثل هذه الأمور خير تقدير .

أخذهُ بلهفة وإهتمام بالغين وإستوى جالسا

بعد أن كان مُستلقيا وشرع في تصفحه بكُل عناية مدققا في تفاصيله بكُل حرص، يُقلب الصفحة ثم يعاود الرجوع إليها وكأنه يريد أن يُجري مقارنة بين المعلومات التي تحملها والبيانات التي تحويها سابقتها، متأوها تارة ومُتعجبا تارة أُخرى وبين الفينة والفينة يُطلق صفيراً خافتا وقد يعلو قليلا أحيانا علامة دهشته من ضخامة الأرقام التي فيه، ولأنه كان مُنذ زمن ينتظر هكذا موضوع وبرنامج .

ينُظُر(مفتاح) إلى صديقهُ(سالم)في صمت رافعا حاجبه قليلا وحال لسانه ينطُق تمام الرضا عن إهتمام مُضيفهما بالملف ومحتوياته فتكتسي وجهه مُسحة من الأرتياح وتعلو فمه إبتسامة خفيفة، لم يعد

صاحبهما مهتما بما يحدث حوله ونسى براده تماما واستغرق كُليا في أمر هذه الوريقات التي أمامه.

تناول (سالم)البراد من على الغاز بعد أن تأكد من نضوجه وأضاف له ما يحتاجه من السكر وتذوقه وأبدى علامة الرضى عنهُ ثم سكب لكل منهم كوبا وأشعلوا ثلاثتهم سجائرهم التي تُضيف نكهة خاصة جدا على إحتساء الشاهي الساخن ،، إستغرقتهم دقائق صامتة يتلذذون بشرب الشاهي ونفث أدخنتهم ويترقبون إنتهاء صاحبهم من إطلاعه على أوراق ملفهم الذي فاجأوه به،، حتى يُسمعهم رأيه فيه بصراحة ومن ثم يستأذنونه بالإنصراف ولم ينتظروا طويلا حتى طواه في حِجره وبادرهم بسيلاً من الأسئلة عن صاحب الموضوع ومدى معرفتهم به، وهل هو أهل ثقة أم لا،، وأي الأبواب طرقوها قبل مجيئهم إليه،، وما نتيجة تلك المساعي،، أشبعوا فضوله وأجابوه عن كل إستفساراته وتساؤلاته وزادوا في إرضائه بتضخيم حصته من هذه الغنيمة السهلة كما زينوها له،، وأنهم فضلوه على كثيرين لإقتناعهم به و بأسلوب عمله وطريقة إنجازه لمثل هذه المواضيع، وسرعته لخبرته الطويلة في هذا المجال .

شكرهم بحرارة وطمأنهم بأنه من الغد بأذن الله سيقوم بأولى تحركاته، جاسا نبض الجهات المسؤولة والرسمية وأنه سيُطلعهم أولاً بأول بكل الإجراءات التي سيتخدها .

طالبا منهم فقط أن يُعينوه بقليل من الصبر، لأنه وكما يعلمون جيدا الصبر مهم في إنجاز هكذا برامج ومواضيع شائكة .

وتحتاج إلى كثير من المُتابعة الجدية والكتمان،، لذلك طلب منهم ألا يُدخلوا أطرافا أخُرى فيتشعب الموضوع وتتعقد مسائله، شكروه على حُسن الضيافة والإستقبال وأنهم سيكونون عند حسن ظنه بهم ،، ألح

عليهم في تراخي أن يبقوا للعشاء معه وأن الجود من الموجود في إشارة إلى أن عشاءهُ قد يكون متواضعا، خاصة وأن الأخ (مفتاح)لأول مرة يُشرفه في بيته مُتمنيا أن يلتقيان في ظروف أفضل من هذه الظروف، لكنهم جنبوه هذا الإحراج مُعتذرين بحُجة أنهم معزومون على العشاء عند أحد أقاربهم وأنهم تأخروا عليه،، رافقهم إلى الباب وهو يشد على أيديهم ويشكرهم على ثقتهم به ويعدهم بسماع أخبار سارة عن موضوعهم في القريب العاجل،، إنطلقا يشُقان طريقهما بصعوبة في زحمة شوراع المدينة ،هي دائمة الإزدحام في مثل هذا الوقت.

● توا صاحبك أهوا بوبريريد زعمه إيدير نتيجة ؟ يسأل (مفتاح) في سخرية مترددة مُتمنيا أن يسمع من(سالم) جوابا مُطمئنا.

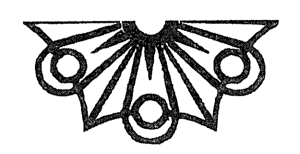
● إيدير عينك وعينه قلتلك كوفي إعنان إيعاون فيه مجلس الأمن وانشاء الله الحال إيلايم ؟ يرد عليه (سالم) في جدية يود (مفتاح) لو لم يسمعها فهو دائم التفاؤل مهما حصل ويكره بشدة نبرة التشاؤم هذه .

● توا بعد ما خدمناك يا سي (مفتاح) ولصقنالك ملفك هالتلصيقة الباهية إتقابل الرخامة كيف الراجل الباهي واديرلنا إمكيرينة حارة وجارية كيف ملفك إللي شايطة فيه النار،، يقول(سالم) ضاحكا.

يرد (مفتاح)حرام يا راجل عشانا عليك ،،أمس درتلك الغذيي

● درت والله إاطياح سعدك، طبيخة دحي كيف زومتك ،حتى إجريوات لورش إيعافنها

وهكذا تمضي الحياة مُسرعة بحلوها ومُرها بصفائها وكدرها ،، ولم يُحالف النجاح أي برنامج من برامجهما.



الحظ العاثر

أطفأ مصباح غُرفته الوحيد فساد الظلام على كل شيىء وإنسل في فراشه وتدثر بلحافه الغليظ، وأغلق عينيه يستجدي النوم أن يُطبق عليهما، وتقلب كثيرا ولكنه لم يُفلح لقد جافاه النُعاس وخاصمه كعادته كل مرة، مد يدهُ في ظلام غرفته البهيم يتحسس مكان علبة سجائره إستل لفُافة وأشعلها فتراقص أثاث غرفته المتواضع على ضوء ولاعته في حركات متماوجة.

تقاذفته الأفكار والهواجس في كل ناحية، تُسافر به ذاكرته الى أماكن بعيدة من حياته الى تفاصيل كاد ينساها أو هذا ما تمناه إلى أصدقاء قُدامى رافقوه في مراحل مختلفة من حياته، إستعرض يومه مشاويره وأعماله التي أنجزها والتي لم يُنجزها، ووجوهاً تعرف على أصحابها مؤخراً غابت عن ذاكرته تفاصيل زمانها ومكانها،، حطت به رحلته السريعة تلك عند محطة لحكاية من حكايات أمه التي يُحبها كثيراً ويعشق قصصها، والتي قصتها عليه ذات يوم عندما أخبرته أنها ولدته ذات ليلة من ليالي الربيع الجميلة في بيتها المتواضع ومن دون مساعدة من أحد، فالوقت كان مُتأخراً جداً وأبوه يغُطُ في نوم عميق، فكان ميلاداً سريعاً وبدون ألم،، ولم يُكدرها أو يُتعبها على الإطلاق وأنها نامت تلك الليلة ملىء جفنيها، وفي الصباح الباكر إستيقظت وهي في كامل نشاطها لتُعد عصيدته بنفسها وأطلقت عليه إسمه، وإستبشرت به وبسهولة مجيئه خيراً ،، تبسم في ظُلمة غرفته ونفث دخان سيجارته

عالياً حتى تكونت منه ما يُشبه السحابة البيضاء الصغيرة .

آه،،،، كم يُحب أمه ويُحب حكاياتها وأحاديثها الرصينة.

ويتعجب لظروف حياته القاسية ومُعاكسة الدُنيا له ولحظهٍ العاثر فيها ،، قالت أمه أن نزوله وميلاده كان سهلاً، وأنها لم تتوجع منه وأنه لم يؤلمها، وأنها كانت ليلة ربيعية جميلة، وأنها نامت فيها ملىء جفونها، وإلى أن رحلت عن دُنياه لا يتذكر أنه أغضبها أو أحزنها، بل كان لها نعم الإبن البار .

فمن أين أتتهُ هذه اللعنة التي حولت حياتهُ إلى جحيم لا يُطاق، إلى خيبات تعقبها إنكسارات، وإلى فشلاً يجرهُ فشل وكأنه مربوط به، وإلى خذلان يُخلف هزائم مُتكررة ، لما هذه الظلمة التي تُغلف حياته، وهذا السواد الذي إستعصى على بزوغ اي فجر .

لما كل هذه القسوة وهذا الصدود والجحود، وهو الذي لم يعرف قلبه قسوة على أحد، ولم يتألم منه إنسان. أو أنه عادى أي مخلوق،، لما كل هذه الآلام إذن، هذه التعاسات، وهذا الشقاء في حياته ،لقد كان بشوشاً ودوداً لا يتأخر عن مد يد العون والمساعدة لأياً كان فلما هذه التكشيرة وهذا الوجوم من دُنياه، هذا النفور منها ،، يؤلمه و يعذبه ويشقيه.

تركُله الأيام بقسوة، وتعظهُ السنين بأنياب العوز الحادة المؤلمة.

لما كل هذا الجحود هذا النكران، لما تهزأ به دُنياه وتبصُق في وجهه وتُغلق دونه أبوابها، أعيته أفكاره وهواجسه،، إمتص بقايا لفافته الرخيصة في شفطات مُتتالية وقذفها في مطفأة كانت قريبة من فراشه وأتبعها ببُصاق مُراً عليها وعلى دُنياه،، سحب لحافه على وجهه ونام.

سئمت مُطاردة الأحلام

التدلل إليها

مُلاحقتها

أيتها النجوم العالية

أيكون الصعود هو الطريق الوحيد إليكِ

أليس بإمكانكِ النزول

فما عدتُ قادراً على المشي

فكيف بالطيران

تعبتُ وتعب قلبي وملتني كُل الأرجاء

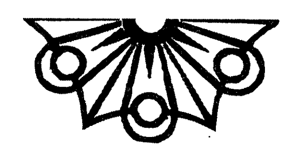
أيتُها الغيمة المُسافرة

ألا يوجد على ظهركِ مكان

لرجُلاً رغب في الرحيل

وكفر بكُل الأشياء

ولم يعد يُطيق ها هُنا !



إجازة طويلة

أعجبُ لحال كثيراً من الناس تراهم من حولك مُعظم الأوقات أو بعضها تلتقيهم فى مُحيطك بإستمرار تجُالسهم وتختلط بهم وتتحدث إليهم وتناقشهم فى شتى المواضيع المُهم منها والتافه، أموراً لصيقة بهم وبحياتهم وبعملهم ودينهم وحتى أمورهم الشخصية، وتكون صدمتك عظيمة عندما تكتشف إلى أي مدى هو جهلهم بأمور من البديهي أن يكونوا على علمٍ ولو بسيط بها لأنهم فى حاجة ماسة لمعرفتها والإلمام بها ليس من باب الترف الفكري والثقافي ولكن فعلاً لأنها تمس أمورحياتهم وأحياناً اليومية منها فليس لهم غنى عنها والدراية بها لتسيير أمورهم وإدارة أعمالهم التي يعتاشون منها أو لتقييم أوضاعهم وأوضاع أُسرهم ومن حولهم وتعايشهم مع غيرهم فى مُجتمع يموج بالعديد من الطبقات والفئات والقبائل والفروقات والإنتماءات الإجتماعية والثقافية وحتى الدينية والمذهبية والتركيبة العامة والخاصة لكلاً منها، تعتريك الدهشة بأشد حالاتها وصورها عندما تقذف الظروف فى طريقك بنموذج من هذه النماذج التي تحيا هكذا دونما أي فكرة عن أي شيّء مما يُحيط حوله من أمور الحياة أو الدين أو التاريخ أو المعرفة العامة البسيطة على أقل تقدير، كتاريخ ميلاده أو عدد قارات العالم وفي أي قارة هو يسكن ،أو من أي قبيلة ولأي عائلة ينتمي وبأي مذهب يتمذهب وماذا يعرف ولو قليلاً عن رموز وطنه وأُمته، وستجد من تمادى فى جهله وأستشرى هذا الداء

فى كامل عقله وضرب فيه بأطنابه على عقله وفكره وإستحوذ على كامل حياته لدرجة تجعلك تتسأل فى حيرة بالغة، هل هذا الأنسان من الأحياء أم من الأموات ؟ هل يحس ويشعر هل يرى ويسمع هل له عقل يعقَّل به، وماالذي تحتويه جمجمته الكبيرة تلك بالتحديد ،،؟ والتى أتعبت أكتافه هُناك أنواعاً من الجهل لن تستطيع أن تجد لها عذراً ولا حتى مُبرراً ولا تستطيع أن تتغاضى عنه ،جهلاً قاتل ممُيت يستفزك يُخرجك عن طوعك، لاتحُبه ولا تتوقع أن تراه ولن تقبلهُ من أي إنسان يعيش فى عصر المعرفة المُتاحة بسهولة ويُسر أشياء بسيطة فى تعلمها ومعرفتها والدراية بها ولكنها عظيمة وكارثية ومأساوية عندما تجهلها وتتجاهلها، أشياء منك وفيك مُرتبطة بك كل الإرتباط لا غنى لك عنها وعن تعُلمها أنت تحتاجها فى كل وقت وحين .هذا الجهل الكريه الغير مرغوب فيه يصدُمك يدُمي قلبك يُربكك يجعلك فى حيرة من أمرك، يفوق كل توقعاتك يُحزنك أشد الحُزن يجعلك تبكي دماً بعد الدموع، أيُعقل أن يوجد مثل هؤلاء بيننا وفينا وفي عصرنا ،، ثم إن ما يجهلونه غير مقبول في كل العصور والأماكن وفي كل الأعمار، فما بالك بعصر المعرفة والتقنية والعلم والتعلم والأدهى والأمر أنهُ مُستفحلاً بين فئات الشباب والتي يُفترض أنها نالت حظاً وقسطاً وافراً وعالياً من التعليم المنهجي فما بالهم هم هكذا جهلة ،،؟ عُمياناً لا يُبصرون ولا يتفكرون، أيُحسبون على المتعلمين وهم أجهل من أحذية ينتعلونها ،، أتطمع من أُنُاس هكذا حالهم بخير ومنفعة ليس لك ولكن لأسرته وأبناءه وبناته ومجتمعه الذي يأويه، لم نُطالبهم بمعرفة أموراً مُعقدة فى الكيمياء أو الفيزياء والرياضيات وعلوم الفلك والبحار،، نحنُ نُطالبهم بمعرفة أبسط أمورهم الحياتية والإجتماعية والدينية والتي تظن أنه لن يحيا وهو جاهلاً لها تماما،، كيف يعيش هؤلاء،؟ أتساءل دائماً وبإستمرار،

كيف يجتازون عقبات الحياة الصعبة والمُرهقة أصلاً ،، فما بالك عندما يزيدها الجهل بِلة وتعقيداً ؟ كيف يمُارسون وإجباتهم ويربون أولادهم ويوجهونهم إلى الصلاح والفلاح ؟ كيف يتبوأون أدوار الريادة فى بيوتهم ويمُسكون بزمام الأمور وهم جهلة لا يفقهون شيئا على الإطلاق ،، فكُل أحاديثهم غير مفهومة ومعلوماتهم مبتورة وتافهة،، وياليتهم يستطيعون حتى أن يوصلوا معلومة سمعوها للتو أو أن يصيغوا سؤالاً لا يكون ناقصاً ومهزوزاً .

لقد غادرني للتو أحدهم بعد أن طحن كبدي وقلبي بجهله الكريه يسألني ،،كيف تُزال الجنابة ؟ وهو المتزوج منُذُ خمسة عشر عاماً فكيف إذن كان يمُارس حياته وصلاته وصيامه إذا كان بمثل هذا الأمر جاهلاً فكيف ببقية الأمور، ألم يسأل ألم يرى، ألم يسمع طيلة هذه السنوات، أُقُسم أن ذلك حدث، أقُسم أن حالهم يؤلمني أشد الألم ويحيرني أشد الحيرة، يجعلني أتساءل عن من هو المسئول ومتى وقع هذا الخلل بالضبط، وكيف ومتى يكون إصلاحه ممُكناً، وكم من الوقت يستغرق ذلك الإصلاح والترقيع إن وجد أصلاً، وهل هو مُجدي في علاج هكذا حالات غريبة عجيبة من الجهل المُطبق ..؟ جهلاً يجعلك تتقيأ، يجعلك تشك فى كل شيئ وتكفر بكل شيئ لأن ماتراه فاق كل توقع وكل تصور وكل تخيل وإستعصى على كل حل

لكم أتمنى من كل قلبي أن يزول هذا الحال فجأة وأن ينعُم الناس بالعقل والعلم والمعرفة والثقافة ولو البسيطة والمعقولة والضرورية جداً لهم ولنا ،، لكي نرتاح من رؤية هذه القدور الفارغة التى أتعبت أجسامهم وملتها ،عفواً وكُلي أسف للقدور فهي ذات منفعة عظيمة أما تلك الرؤوس فلا شيّء تفعله إلا إلتهام الاخضر واليابس وعرقلة مسيرة الحياة

أرهقتنا ثرثرتهم سخافات وأكاذيب

نفاق وكلام بذيء ألا تملون.

أيها الحُثالة

ألا خيراً يرُجى منكم

فأضعفه أن ترحموننا بصمتكم

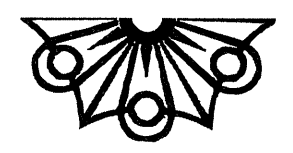
لقد تفشى فيكم حتى؟

انمئس مكرظانم ءاهلبلا يف انتايح مكلقثو ىلع انبولق

لأا نولحرت نودستف انلا افورعمً

لا يُنسى فغيابكم لن يستشعره أحد

وأبداً لن يترك أي فراغ



عشق من نوع آخر

مُنْذُ أن إنتقل للعيش في هذه المدينة المُزدحمة عشق التجول فى أزقتها في شوارعها وتقاطع طرقاتها شيئاً خفي يجذبه إليها إلى تضاريسها إلى أعمدتها وأقواسها القديمة وأبوابها وأبنيتها العتيقة المتداعية ونوافذ منازلها الإسلامية المُطرزة ومسارب أحيائها الضيقة وجدرانها المتلاصقة في تقارب مُريح، يعشق مساجدها وزوايها وأضرحتها القديمة و مقاهيها المتواضعة الضيقة و حوانيتها المتراصة والمُبعثرة في إنسجام ووجوه أهلها الطيبين وألعاب أطفالها الأشقياء المرحين، يعشُقها بكل ذرة في كيانه وفي كل الأوقات نهارها وليلها، يحبها حباً قد ملك عليه فؤاده، ينتابهُ إحساس قوي وهو يتجول في أزقتها بأنه ينتمي إلى هذا المكان منذ زمن طويل وأنه جزء لا يتجزأ منه بناسه الودودين الذي يشعر وكأنه واحد منهم ولد بينهم يعرفهم ويعرفونه خير المعرفة فهو يشعر بتآلفهم في كل حركاتهم وسكناتهم، وكم يحب أن يجلس في أحد مقاهيها الشعبية يحتسي كوب قهوته وينفث دخان سجائره وهو يمُضي الساعات في مراقبة هذا المكان وتأمل أهله وهم يجيئون ويروحون في قضاء حوائجهم وتصريف تجارتهم بالبيع و الشراء يراقب الأطفال مُنهمكون في ألعابهم في مرح كبير لا يعيقون حركة المارة، يراهم وهم يساعدون ذويهم في جلب الأغراض من الحوانيت القريبة في سعادة غامرة، يراهم وهم يتأهبون للألتحاق بمدارسهم القريبة في عبثهم الطفولي يتسابقون .

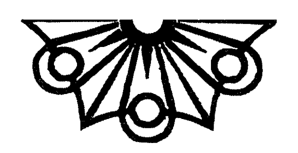
يعشُقها ﴿ كل الأوقات و﴿ كل الفصول ،، خاصة ﴿ فصل الشتاء عندما تهطل الأمطار بغزارة، يرى أهلها وهم يتراكضون خوفاً على أجسامهم من البلل أو على بضاعتهم من التلف يراهم وهم يتساعدون فيما بينهم فى حب وإرتياح عميق وقناعة ورضى كبيرين، كم يُحب فيهم تألفهم وإنساجهم وتعاونهم ﴿ السراء والضراء وهم يشكلون أسرة كبيرة مترابطة ومتحابة .

فى تسكعه شبه اليومي ﴿ طرقاتها وأزقتها وحواريها لا ينتابه الشعور بالرتابة أبداً كالذي يحسه دوماً ﴿ غيرها من الأماكن فهنا ينعدم إحساسه بالوقت مهما طال، ولا يعرف الضجر طريقه إلى نفسه ﴿ تلك الساعات ،،آه ،، كم يعشق منظرها والغيوم السوداء تُلبد سمائها مُنذرة بهطول الأمطار التي تُزيل ماعلق بها من أوساخ وغبار، منذ أن قدم من بلدته وهو ﴿ ريعان صباه أحب هذا الجزء من هذه المدينة المُكتضة لا يعرف لذلك سبباً بالتحديد فكل ما يعرفه أن هناك رابطاً خفياً يشده إليها وبإستمرار كم يكره أن يطرأ عليها أي تغيير أو تعديل ، أن يرى فيها شيء قد أزيل، فهو يعشقها هكذا ويريدها كما هي كما عرفها أول مرة وعرفته تذكره بأحلى سنيّ شبابه التي قضاها فيها وبين جنباتها .

فله فيها صولات وجولات هنا وهناك كلما تذكرها إغرورقت عيناه بالدموع وسرت فى جسده رعشة لذيذة يضحك ملئ شدقيه لذكرى بعضها ويتأسى من غيرها وتملأه بالدهشة والأستغراب أحيانا أخرى بعض مغامراته التي كانت تنقصها الحنكة والدراية والحكمة،،، آه ،،،أيتها المدينة الرائعة يامعشوقة بلل شعرها المطر وأسدله شلالا على خديها وكتفيها ﴿ قصيدة جميلة لم تُلقى بعد .

وفي معزوفة رائعة الألحان لم تُعزف إلى الأن، لكم أهواكِ وأخاف الإبتعاد عن أحضانكِ، وكم أتمنى أن تطال يدي كل أفواه الباعة ومزامير السيارات وجلبة المارة وشجاراتهم حتى أُسكتهم إجلالاً لهيبتكِ وإحتراماً لقدسيتكِ، ألا يعلمون بأن ذلك يؤذيكِ يؤذي جدرانكِ وأزقتكِ ومساجدكِ وباحاتكِ ومآذنكِ وزوايا يعتكف فيها الطيبون أبنائكِ، لكم أتمنى ألا أرى حولكِ الجهلة الثرثارون يشوهون خجل عذريتكِ ويفضون بكارة قدسية حافظتي عليها طويلاً إنهُ عشق من نوع آخر يحمله لهذه المدينة في قلبه، عشق يُحلق به فوق السحاب كلما حطت قدماه فيها تطير به فرحا وكلما تجول في شوارعها يهيم بها حُباً ، عندما يجد نفسه وحيداً يتسكع بين مقاهيها وحدائقها يتلذذ بالتلصص على يوميات أهلها وحنايا وخفايا مفاتنها، تربطه علاقة حميمة وصداقة وثيقة، بالأماكن وبالحوانيت بالأزقة وبالشوارع بمساجدها الرائعة وزواياها العتيقة، بالبيوت والأبواب وبالمسارب والدروب وأقواس ظلت شاهدة على الزمن وعلى كل من مروا تحتها، يعشق فيها عبق التاريخ يهوى فيها كل شيء حتى أسماءاً أطلقتها هي على نفسها ويكره أن تطالها يد العبث فتُغير ملامح تاه عشقاً وولهاً بها، يشعر بدفئها وبرغبتها في ضمه في إحتضانه فهي تعرف جيداً أنه مُغرماً بها، يتغزل فيها وبجدائل العشق على كتفيها يهفو اليها كلما أبعدته الأيام عنها، لا تدُب في أوصاله الحياة إلا وهو في أحضانها يهمس في أذنها بشغف،، آه ،،كم أُحبكِ يا حلوتي أيتها العزيزة الرائعة فمنذ أن عرفها، عرف الحب، عرف العشق، عرف التيه، وتاه في قصائد جمال عينيها أحبها لوحدها وأحب أن يمارس معها هذا الحب لوحده وبمفرده، يخشى عليها حتى من نفسه ومن كل شيء، غيرته عليها تعذبه ولا تؤرقه بل تسعده وتفرحه .

آه ،،،ياصديقي عُمر أيها المسكين المُعذب مالذي قذف بك الى أحضان معشوقة تعرف جيد أنك لست أول ولا أخر عُشاقها كم يعذبك هذا ويظنيك أيها الرجل الطيب المُحب تتمنى لو أنك لم تعرفها، تحُبها تعشُقها ولكن،، فات أوان هذا التمني.



عينه اليسرى

هاجس فقد عينهُ اليسرى يطارده مند سنوات طويلة منذ أن كان صبياً يافعاً لايعرف من دنياه هماً ولايقيم لها وزناً يشعر به فى كل الأوقات حلوها ومرها، وفى كل الأماكن الغريبة والمألوفة لديه، لا يتذ كر أنه تركه لحظة واحدة أو غاب عن مخيلته،يلسيه إحساس قوي أنه سيخسرها لا محالة، ولكن متى وأين وكيف لا يعلم، ولايريد أن يعلم أبداً.. يوماً ما ستُفقأ عينه اليسرى هذا ما يشعر به دوماً، إنها غير طبيعية دائمة السخونة والوميض وتتنابها رعشة خفيفة في بعض المرات إنها ثقيلة بعض الشيء، ليست كعينهُ اليُمنى فيها لمعة ودفء غريب دائم الإحساس به، كأنها ستنفجر لوحدها أو ستسقط من مكانها أو أن شيئاً ما سينفجر فيها مباشرة وسيفقأها، سيطرت عليه هذه الهواجس بقوة، حتى فى شجاراته وهو صبياً ومراهقاً ومأأكثرها فى تلك الفترة الرائعة من عمره، كان أكثر شيء يخشى عليه من الأذى والتأذي هو عينه اليُسرى، كان يتفحصها بعناية عقب كل شجار يتورط فيه مع أقرانه، خوفاً من أن تكون قد أصيبت أثناء العِراك ومن غريب أمرها أيضاً أنها تخرج سليمة فى كل مرة .

كم كان يكره أن يُضطر إلى النظر عالياً إتجاه نخلة في تلك اللحظات تزداد سخونة عينه اليسرى فجأة لدرجة تمنعه من إكمال التحديق بها أو أن تضطره الظروف أيظاً أن يدخل أماكن مهجورة أو مظلمة خشية أن يقفز في وجهه أي شيئ كطائر مفزوع، أو قطة أربكها دخوله

المفاجئ فتهب في وجهه وتتشب مخالبها في عينه مضطرة للهروب والفرار منه، وغيرها الكثير من الأمور التي يخافها ويخشاها كأن تنفجر في وجهه إحدى المصابيح الكهربائيه التي يحاول كثيراً إصلاحها أو تركيبها وتغييرها فى بيتهم، أو أن يقذفه أحدهم بحجرُ في عينه بقصد أو بدون قصد، وكم يكره ألعاب الأطفال التي تقذف مقذوفات بلاستيكية، فكان يتحاشاهم بإستمرار أثناء لهوهم بها .

وما أن يراها معافاة سليمة عقب كل تخوف حتى يسُجد لله حمداً وشكراً ومع ذلك لا تبرد سخونتها أبداً، أو يتخلص من إحساسه الغريب بثقلها وأنها ليست على مايرام، يمُضي الساعات الطوال أمام المرآة يتفحصها ويقارنها بأختها فتارة يرى أن هناك إختلاف طفيف وغير ملحوظ وتارة أخرى يطرد هذا الهاجس من رأسه محاولاً إقناع نفسه بأنهما متشابهتان في كل شيئ وأن ما يراه لا يعدو كونه إلا تهيوءات، ولكن ما سر هذا الإحساس الغريب الذى يحسه إتجاهها ؟ والذي لم يستطيع منه فكاكا، حتى عندما يلبس نظارته الشمسية ينتابهُ خوف كبير بأن شيئ ما سيصطدم بها ويكسرها ويتطاير زجاجها منغرزاً في عينه اليسرى فقط .

فيُسارع إلى خلعها ورميها بعيداً تجنباً لمخاوفه غير المعقولة التي عذبته وأرقته كثيراً طيلة تلك السنوات فجاة وفي أحد الأيام قرر أن يزور طبيب العيون مخافة أن يكون بعينه مرض أو ماشابه، فيتداركه قبل أن يستفحل وبعد تردد إقتحم العيادة إقتحاماً من شدة خوفه و إضطرابه حتى لايتُرك لنفسه مجالاً للهروب والرجوع عن رأيه.

● السلام عليكم ، ، شنو حالك يادكتور

● وعليكم السلام ، ، الحمد الله ، ، شنو حلك أنت ، ، ها خير إنشاء الله

● والله ماني عارف شنو إنقولك يادكتور هي قصة طويلة ولكن بإختصار إنحس فى عيني ليسرى مش طبيعية ،، زي ما تقول ساخنة إشوية وديمة إترف وثقيلة مش كيف أختها ليمين.

● ما فهمتش ، كيف ساخنة وثقيلة ومن أمتى الكلام أهوا ؟

● والله ماهو قلتلك قصة ويا شينك قصة ماطولها ، من صُغري يا دكتور عندي الإحساس أهوا

● إحساس كيف بالضبط ،، فيها وجع ،، ولا شنو ؟ ولا إدمع بروحها

● والله هي مادمعش ، ولكن بإختصار خايفك تضحك عليّ إنحس فيها يا دكتور كيف إللي بتتعور ولا حاجة زي هكي ، لدرجة يا دكتور عندي شعور ما سيبنيش من هاذيك الفترة ، هي مش كيف أختها ثقيلة ودافية إشويهة، وديمة خايف عليها ، المهم مش إمريحتنى .

● تبسم الدكتور ،، سأله بوضوح ، المهم فيها وجع ولا حكة مثلاً ؟

● لا والله، ما فيهاش وجع ولا حكة ، إللي قلتهلك بكري بس .

يطلب منه الدكتور بأن يضع وجهه على حافة المنضار وأن يفتح عينيه بإتجاه الضوء الذي سيراه خارجاً من الجهاز وعلى إتساعهما حتى يتمكن من فحصها بسهولة ووضوح وبعد دقائق من ذلك يقول له الدكتور وإبتسامة عريضة على وجهه طمأنته قليلاً.

● والله مافيك حاجة وعيونك سليمات مية مية وعلى مسئوليتى ؟

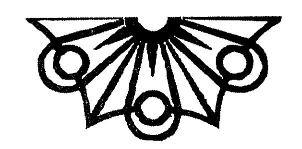
● ما فيهنش شيء يادكتور ، معقولة ، على العموم بارك الله فيك وسامحنا تعبناك ،، السلام عليكم

وإنسل خارجاً فى هدوء وفرح عميق شعر به يُخالج نفسه وإطمئن

لهذا الإرتياح الذي إعتراه بعد زيارة الطبيب .

إلتفت يمُنة ويُسرة حتى يتأكد من خلو الطريق من السيارات وقعت عينهُ فجأة على لافتة الإتجاه الإجباري المثبتة على حافة الطريق، بسهمها العريض ذو السن الحادة والمذببة .

وبسرعة عجيبة إرتفعت حرارة عينهُ اليسرى وثقلت وإنتابتها رعشة خفيفة .



غلطة

إلتقاها في إحدي ليالي الصيف القائضة تتجول مع طفليها الصغيرين على رصيف الكورنيش إمرأة في مقتبل العمر تتفجر أنوثة ورغبة ، تلتهم المارة بعينيها الواسعتين لاتهدأ حركتها لتُبقي طفليها وادعين وفي متناول يديها وعينيها ، تتعمد الوثوب عليهما في حركات فيهما الكثير من الغنج والدلال ، مُستعرضة في زهو كبير قوامها الممتلئ والمُكتنز على المحيطين بها في الجوار الذين تسمر بعضهم في أماكن لايرغبون في التفريط بمساحات سمحت لهم أن يكونوا قريبين منها ومن طفليها ، متحينين الفرصة لملاطفتهم وملاعبتهم عسى أن يكون ذلك مدخلا ترضاه الأم، الهدف، ليظفروا بإنتباهة أوإيماءة وإن حالفهم الحظ فازوا بإبتسامة من ثغر إشتهوه كثيرا ، ، إستغرق وقتا في مُراقبتها ومراقبة الظروف المُحيطة بها مُستعرضا كل خططه للتقرب منها، مُستبعدا خطة التحرش بطفليها لأن سياسة ((شد الجدي إتجيك أمه)) أثبتت فشلها مع بعض المتجمهرين من حولها بل العكس عادت على بعضهم بالوبال الوخيم مما أضطرهم إلى ترك الميدان إثر تفنيصة حادة أو تكشيرة غاضبة ، فقرربعد تفكير ليس بالقصير أن يتبع وسيلة ناجعة وغير مسبوقة ألا وهي الهجوم وهو أفضل وسيلة للوصول وليس أحسن من أن يتجه إليها مُباشرة ويُلقي عليها التحية وأن يطلب منها الجلوس الى طاولتها ويفرض نفسهُ بكل برودة، إن صابت فبها وإن خابت فما عليه إلا أن يُغادر الميدان كبقية المغامرين

المتهورين وذلك أفضل ألف مرة من الدوران من وراء (الزربة)كما يقول المثل الشعبي الشهير ، ولكن لن يُقدم على ذلك العمل المتهور الغير مضمون حتى تخِف حلقة المُعاكسين حولها ، فإن حدث وأنهارت أركان خطته لأي سبب كان لاتكون فضيحتهُ على رؤوس الأشهاد . بعد تردد حانت فرصتهُ الذهبية التي كان ينتظرها بفارغ الصبر فقد خفت تلك الجوقة من حولها فقرر أن يبدأ هجومه المباغت ((واللي يصير إيصير)) أقترب كثيرا منها و من حماها وتعمد أن يُبدي حركة ما أي حركة حتي يجتذب إنتباهها وحرص على ألاّ يُفاجأها فالمفاجأة في مثل هذه الظروف غير محمودة العواقب ، وبعد أن صال وجال وتبختر أمامها ، وضمن على الأقل أنها إنتبهت لوجوده وظهوره في الساحة، ، إبتدأ زحفه في أتخذله وتُسبب له في فضيحة كبيرة أمام الناس المُترصدة والمُترقبة عيونهم ،لم يصدق أن يدهُ الممدودة قد إحتضنت يدها الدافئة المُزدانة بنقوش الحناء ولم يقتصر كرمها على ذلك بل زادتهُ بإبتسامة عريضة زينت بها وجهها الوضاح ، وقبل أن تُفلت يدها من يده جذبتهُ في حركة خفيفة إشارة منها الى الجلوس وأنه لاقى منها القبول وكل ترحيب ، أخذتهُ الدهشة غير مُصدق أن كل ذلك تم بهذه السرعة والسهولة ، شكرها من كل قلبه أن محاولته لم تذهب سُدى وأنه فاز أخيرا برضاها وقبولها دون الجميع ، وأنها جنبته حرجا كبيرا كانت ستسببه له أمام الناس في حال وإن رفضت إقتاحمه عليها وحدتها ، بعد دقائق ليست بالقصيرة تبادلا خِلالها عبارات الترحيب والتعارف والمُجاملة المعتادة والتي حرص خلالها أن يكون في غاية التهذيب والذوق دعتهُ للتمشي والتجوال حتى يُفلتا من حصار أعين الناس التي كان أصحابها أو بعضهم على الأقل من بقايا المُغامرين الذين لم يفقِدوا الأمل بعد، مُتحسرين على فرصة كانت قريبة ولكن أضاعتها عليهم

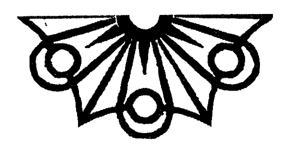
جرأة هذا الرجل والذي ماكانت العين لتُخطئ بداوته أبدا ، فملامح أبناءالصحراء واضحة جدا في ملامح وتقاسيم وجهه.

لم تمضي ساعة على تجوالهما حتى كانت كافية لأن يعرف عنها الكثير وعن ظروف حياتها أكثر ، فهي في العشرين من عُمرها أرملة وأم لطفلين دون سن الدراسة، تقيم لوحدها وكل علاقتها بأهل زوجها مبتورة بل متوترة على إرث وخلافه، وبأهلها شبه جافة وفي طريقها للقطيعة بسبب رفضها الزواج ثانية والتخلي عن إصرارها العيش مع طفليها لوحدها وتحمُل مسؤلية ذلك، كل ماعرفه عنها إلى الأن كان يوافق هواه ومُبتغاه خاصة أنها كانت تُلمح بين الفينة والأخرى بأنها لمست الإرتياح في نفسها حياله ، وأن قلبها قد إنفتح له ، وأنها تبحث مُنذ مدة عن رجلا مثله ليؤنس وحدتها ووحشتها ، أثلج قلبهُ هذا التلميح وأخذه الزهو بنفسه أيما مأخذ ، خاصة وأنها لم تاتي على ذكر ظروفها الإقتصادية والمادية لا من قريب ولا من بعيد . أو أنها تمر بأوقات عصيبة كما تفعل الكثيرات غيرها فهو في هذهِ الميادين صاحب خبرة طويلة وله جولات وصولات ولن تنطلي عليه الحيلة بسهولة أبدا ، تفارقا على أن يلتقيا في الغد في مكان هادئ ليُكملا ما بدأوه من حديث بعيد عن أعين المارة ، أطرقت برأسها قليلا ثم رفعتهُ فجأة مُقترحة أن يكون هذا المكان شقتها فهي ترى بل ومُقتنعة تماما أنه لن يكون هنُالك مكانا يُلائم مثل هذه اللقاءات خيرا من مخدعِها وبذلك تكون أكثر إطمئنانا على نفسها وعلى طفليها الصغيرين والتي لم تتعود على تركهِما وحدهما فاجأته بهذا الطلب كثيرا ، حقا إنه كان يتمنى مثل هذا الأمر ((حُظ الشحمة على خشم السلوقي)) ولكن ليس بهذه السرعة ، حاول التملص والإعتذار عساهُ يتمكن من الهروب ولو مؤقتا حتى تتجلى الرؤية ، وتتضح ملامح الصورة جيدا أمام ناظريه مخافة

أن يقع في خطا فادح يدفع ثمنه غاليا فيما بعد ولكنها أصرت عليه وزينت له الأمر وأنه لو تحرى الحرص أثناء صعوده إلى شقتها فإنها تضمن له أن الأمور ستسير على مايُرام وذكرتهُ أنها تسكُن عمارة وأن الداخلين أكثر من الخارجين وأن الناس فيها كُلا في حاله وأنه لا روابط تجمعهم بها فهم جيران بالأسم فقط وغصبا عنهم أيضا ، وما خفي كان أعظم، ألحت في تشجيعه مُذكرة إياه بجرأته التي كانت منه قبل ساعات لم تُترك له مخرجا فوافق على مضض، ، وبعد تردد لم يُثمر عن مهرب طالبا منها أن تُزوده بمعلومات كافية عن جيرانها مُتمنيا أن يكون بينهم محامي أو محاسب أو ماشابه ليكون مُنقذه ومشجبه إن تورط لا قدر الله ، وعن ظروف السلالم فيها ومدى زحمتها وما قد يُصادفه فيها حتى يُحسن التعامل مع أي طارئ قد يواجهه هناك، أجابته عن كل تساؤلاته وبسطت له الأمور حتى تريحه وتشجعه ، ، ودعتهُ وكلها أمل ألا يُخيب ظنها وأن يحضُر في الموعد المُتفق،، إبتعدت عنه وتركته وحيدا مُتسمرا يرقُب جسمها الرجراج الهزاز في إغراء تعمدتهُ ، وكم برعت في ذلك، لم يستطع إغماض عينيه تلك الليلة من وساوس وظنون تتقاذفه من كل ناحية وصوب ، فتارة يرى نفسه وقد وقع في قبضة جيرانها الذين لاتتعب أعينهم من مُراقبة بابها، وتارة يتخيل أنها نصبت له كمينا لغرض في نفسها لايعلمهُ إلا الله، ومرة يتصور أن أحدهم رآه يدخل إليها فيقتحم عليهما تلك الخلوة ، وغيرها الكثير من المخاوف والشكوك ، ، يقرر عدم الذهاب والمُخاطرة ولكن تغلبهُ نفسهُ الأمارة وشهوته وحاجته المُلحة إليها فيُقرر المجازفة مُطمئنا نفسه وهواجسه بأنها صادقة وأنها أعدت لكل شيئ عدته ومخرجهُ ، وأنها أخوف على نفسها منهُ على نفسهِ . بقى على هذا الحال أغلب ساعات الليل حتى كاد صُبحهِ أن يظهر ، تعِب من

أفكاره وظنونه ، كره ضعفه ، لعن شهوته ، والساعة التي عرفها فيها وأحتقر جُرأتهِ التي قادته إليها ، طلب من الله أن يستطيع إغماض عينيه حتى يتخلص من أرقه وقلقه ، والصباح رباح كما يقولون، ، وفي مساء اليوم التالي أخذ يحوم حول عمارتها يراقبها من بعيد ويُحصي الداخلين والخارجين ويتفحصهم جيدا محاولا أن يضع خطة للدخول لا تُلفت إنتباه أحد وقرر أخيرا أن يدلف من الباب وأن يتصرف بكُل هدوء وطبيعية وكأنه أحد الساكنين ، ، دق قلبهُ بشدة وتصبب العرق من وجهه وحاول جاهدا الأ ينظُر في أعين من يلقاهم في طريقه حتى لا يفضحهُ إرتباكه ويلحظون توتره فتفشل مُحاولته وتقع لهُ حينها مأساة .

دعا الله أن يجد باب شقتها مفتوحا وباب جيرانها مقفولا كما وعدته، ، قذف بنفسه قذفا للداخل بعد أن لمحها مُتأخرة قليلا عند باب شقتها وإبتسامتها التي لاتُقاوم تُزين ثغرها وقلبه يكاد يُفلت من صدره من شدة الخفقان ، ، إنتابته رعشة في يداه وساقيه جاهد كثيرا أن يُخفيها عنها، حتى لاتهزأ به ، ، (ذهبت عنه سكرته وجاءتهُ مُتاخرة جدا فكرته)إنتظر بزوغ فجر تلك الليلة بفارغ الصبر وما أن لاحت أولى تباشيره وقبل أن تدب الحياة في الشارع غادر يؤنبهُ ضميرهُ، مودعا طفلين بريئين نائمين لم يعلِما بما حدث ولن يعلِما أبدا



كذّاب

- ها، ، وين صاحبك مش قال بنجي
- والله مش عارف من بكري نطلب فيه .مايردش
- ماهيش جديدة عليه هاذي عاشر مرة
- قلنالك ياراجل أخطاه راهووو كذاااب كبيـيييـر
- خيرك شنو مافهمتاش لا توا ربي يهديك وخلاص
- إشوي ، ، إشوي كان ماردش علهاتف نمشيله في الحوش ونشوف خير دعوته بالك مريض ولا حاجة .
- إيح توا المريض مايردش علهاتف خير هله مايردوش، ولاحتى هما مُرضى، هذا مريض عندك حق لكن بالكذب والنصابة ياخوي غير إتعب وإتحشم في روحك

هذا واحد بلعوط ما يعرقش ، ، سيبه بس

- شنو إنسيبه والله ماهو بارد بيها عاد كيف إيديرلنا هكي ، ماتجيش كان إيتحشم
- ياودي حتى إنت ماتحشمش إللي خلطتنا عليه، ، ديمة تُشكر فيه راجل يقدرومعارف

ومش عارف شنو ويضرب يعور ، ، حق والله لكن في المقتل ديمة ضربته، ، مع ضحك متواصل من صديقه على الطرف الاخر من الهاتف

- تريح فكنا إحنا في الحضرة ولا في دق البندير
- خلك يامُخني إربطها بيديك وحلها بسنونك ، ، تو، ، مازال تلقاه.

حتى تمشيله في الحـوش والله ماهو طالعلك ، خمسين مرة إمدايرهلك ولا إنسيت ، ، ماتعبش روحك خير

- ياودي.حتى إنت ديمة سابق العرس إبردحة مستعجل وشايطة فيك النار خلي نصبروا عليه إشوية بالك يتصل ولا إيجي
- ياسيدي إصبر شنو خاسرين مادابينا شنو ودك يالعمي؟
- عطيك عمي ، إتوصى شيء توا ..؟
- إبيح إتوصي في إيتيم علبكي.
- ماشي بالسلامة.

يُنهي مكالمته وهو يكاد ينفجر من الغيظ ، فعلا إنها المرة العاشرة أو أكثر التي يتسبب له فيها بإحراجات لا تُعد ولاتحُصى مع أصدقائه ومعارفه وحتى الناس الغُرباء حديث التعرف بهم ،، يضعهُ في مواقف لايُحسد عليها أبدا ، تجعلهُ يتصبب عرقا وتُفقده مصداقيته أمام الجميع ، ، والأدهى والأمر أنه مازال يُصدقه ويثق به بعد كل هذا الكذب والنفاق إنه لايعرف بالضبط مالذي جعله هكذا ولماذا يكذب ؟ لم يجبره أحد على الكذب لما يُحمل نفسه مالا تستطيع لما كل هذا النفاق والكذب والأخطر من هذا كله أنها ليست كذبة وكذبتان بل هي حياة كاملة مليئة بالكذب أيعقل أن تُبنى حياة على كذبة ؟ هل يُعقل أن يكون هناك أُناس

يتعايشون على الكذب ويعتاشون منه والغريب أنهم يتلذذون بممارسة هواية الكذب فعلا إنها لديهم هِواية يستمتعون بها كثيرا ، ، يفرحون جدا عندما يكذبون وتُفرحهم أكثر عندما تنطلي على

الناس والـذي يُفرحهم أكثر وأكثر ويجعلهم في قمة السعادة عندما يتملصون منها بكل سهولة ويُسر غيرمُكترثين بما قد تسببه أكاذيبهم من إحراجات وربما ماسي وكوراث، ، ألا ، ، يخجلون من أفاعيلهم وأكاذيبهم المُهترئة القديمة ، ، ألا، ، يتعبون من كثرة الكذب و خلق الأعذار التي تكون أقبح من سابقتها ، الغريب أنهم لا يتلعثمون أو ترتجف عيونهم ووجوههم ، بل على العكس من ذلك ثابتون وواثقون وكأنهم يمارسون فضيلة حسنة حتى بعد أن تُضيق عليه الخناق وتظن نفسك منتصرا تُسعفه جُعبته التي لا تنضب وخياله الخصب بألف كذبة وكذبة ولكن إلى متى فحبل الكذب قصير كمايقولون ، فقط يريد أن يعرف لماذا يكذبون وما الذي يضطرهم الى ذلك ؟ فالله لا يُكلف نفسا إلا وسعها ونهى الناس عنه وحرمه عليهم هل هو نتيجة تربية خاطئة أم له علاقة بالأمور النفسية وأمراضها وماأكثرهاعلى كل حال في مثل هذا الزمان ، حتى رسولنا الكريم(صلعم) يتوقع من المؤمن أن يكون على أية شاكلة إلا شاكلة الكذاب فتلك بلوى عظيمة، نعم إنها بلوى عظيمة وآفة كبيرة تستدعي منا جميعا مُحاربتها والتصدي لها وعلاجها إن أمكن ذلك ، ، فهي ظاهرة فاسدة مُفسدة إن أستفحل داؤها وأنتشر فقل على الدنيا السلام.

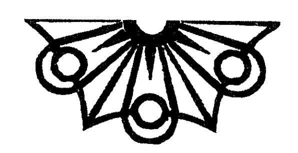
الكارثة أنهم بارعون جدا يُلبسون الكذب رداء الصدق حتى تظنه حقيقة وتقسم على ذلك وتختلط عليك الأمور فما تعد تمُيزهم من شدة إتقانهم وتفننهم في ذلك ، ، ولكن السؤال المهم ألايخجلون من أنفسهم؟

فمن لايحترم نفسه وذاته ويبجلهاويترفع بها عن هكذا قبائح وصغائر

أبدا لن ينال إحترام الأخرين له ورأيهم فيه مهما كان
ومن تكون هكذا صفاته وأخلاقه يصعُب عليك جدا نُصحه ستكون كمن يحرث في الماء

● خير يا خونا تسمع فيا باهى ، ، واضح الصوت ؟
● إيه واضح شنو حالك ؟
● شنو قلت حالك ؟
● شنو قلت؟ كيف ؟
● قلتلك حالك ، ، حالك باهى ، ، نسمع فيك إكويس ياراجل ؟
● باهي باهي الحمد الله شنو صار ؟ إحصلت عليه ؟
● وين إحصلت عليه ليا أسبوع إنهز بلا نتيجة
● كيف ماشديتاس بُكل ؟ مش قلت بتمشيله فى الحوش
● مشيتله حتى فى الجبانهة ما فيش مخلوق إيجيب نباه هالشفشة
● ما هو قلنالك من لول بلعووووووط ماتاخدش فالراي ؟
● ياسيدي سامحنا وحقك علينا أخر مرة ، ماعاش إنعاودها
● ههه ماطيحك فيهم مش عارف وين تلقى فيهم هالمُرضى النصابة خدمة حق
● هاذيم لا يخلوك تخدم ولا ترقد وين عاد كان كُل ورقة إيصير عليها مخطر ياودي مانقدرهمش
● الحاصل مالقيتاش واخذ وجهه ،،باهي نشدت عليه جماعته ؟
● قلتلك قريب درت عليه تعميم .
● توا شنو إيصير ؟

- شنو ،، شنو بيصير زود أرفع إتركاك إكرهت حتى شبحهن
- الحق مش فيك
- عاد شنو بندير طحنا فى واحد كذاب ولا تبي إتخليهن بالك نلقوا واحد كذاب إشوية
- هي هي بالسلامة شوره هبلك في جرته ، صحة ليه عرف كيف يزبطك
- ماعنداش وين يهرب الكذاب ديمة حاصل صيوره ينشد لأنه غبى وفاسد قلبا وقالبا



نُزهة في مقبرة

كلما حاصرته الحياة بمطباتها ومشاكلها وقسوة ظروفها ومشاكلها التي لاحد لها وأعتصر الألم قلبه وفؤاده وعاندته الدنيا وأذاقته مرارة ركلاتها وصفعاتها وخذلته وأخرجت له لسانها هازئة وشامتة به وأدارت له ظهرها وقفاها القبيح وتركته لحيرته غير عابئة به ولا بدموعه التي إحتفرتها أخاديد عميقة على خديه وكسرت منه الخاطر بعد القلب وحرمته إبتسامة كان يفتكها إفتكاكا في ساعات غفلتها عنه، وما أقلها من مرات هي تلك، وحين تغضب عليه ومنه وتكشر له عن أنيابها القذرة المتسخة فما أكثر ذلك منها وما أكرمها فيه، يضنهُ التعب ويهدهُ صدودها وجحودها يبحث عن مكان ليس كباقي الأمكنة ليُلقي بثقاله وهمومه عن كاهله وينشد راحة عميقة لن يجدها إلا فى هذا المكان فهو ملاذه الآمن كلما تجهمت وعبست ونفرت منه أيامه الكالحة، وفى يأسه الشديد تجرهُ قدماه المرهقة المُثقلة بهمومه اللامحدودة صوب مقبرة مدينته القديمة بسورها الرمادي العالي والذى يكاد أن يصيرا سوداً باهتاً جراء أبخرة وعوادم السيارات المارة بمحاذاته والذي يثير فى النفس كآبة وإنقباضاً حادين يتلاشيان بسرعة مجرد أن تدلف بوابته الحديدية المتهالكة والثقيلة لتقابلك القبور البيضاء بشواهدها الرخامية العالية والمختلفة الأحجام والأطوال، تتزاحم حولها الأعشاب في كل مكان في تناغم جميل يُندر حدوثه في أجمل لوحات العالم وفي حلة بارعة التصوير يُشعرك براحة عميقة في هذا الجزء الذي نساه

كثير من الناس فى مدينته، هنا يجد ضالته وتعزيته الوحيدة بين صمت وهدوء سكان هذا المكان هذا الصمت المحبب للنفس بعيداً عن الفوضى والضوضاء والضجيج فى جو تلفه الروحانية والقدسية المهيبة التي تُلامس شغاف القلب وتؤثر فيه تبعث في نفسه رؤية القبور والتجول بينها والوقوف عليها يقرأ شواهدها راحة عجيبة هي كالسحر تماماً فيترحم عليهم كلاً بإسمه فى صمت وقور، راحة تنقله من القاع إلى القمة في لحظات وجيزة تنسيه مرارة كالعلقم وتحيلها إلى عذوبة إفتقدها طويلاً وراحة لم يهنأ بها أبداً، في هذا المكان يرمي جميع أثقاله وإنكساراته وخيبات أمله وضجيج همومه وتفاهة أُناس لا يتعبون أو يملون من التفاهة بل يتلذذون بها، فى مكانه هذا يتحول إلى طائر من الجنة إلى طفلاً لم تتلون صفحاته بعد بأكاذيبهم وخياناتهم ونفا قهم هنا يحس بحريته المنسية التي إغتصبوها منه .

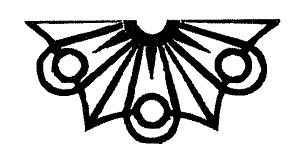
آه ،، كم تريحه هذه الزيارة، هذه النزهة، نعم يعتبرها أجمل نزهاته فهنا لن يضايقه أحد، ويحرص أشد الحرص على ألا يُضايق سكان هذا المكان الطيبون الوادعون، ولن يعكر صفوته رؤية مناظر مقززة كالتي إعتاد رؤيتها بين الأحياء الأموات في شوارع وأزقة ومقاهى وحدائق مدينته الصاخبة، والتي تناسى أهلها روعة وجمال وصدق هذه الرقعة البيسطة من مدينتهم، والتي لم تسلم هى أيضاً من تفاهاتهم وقاذوراتهم، يفر من أكاذيبهم وغدرهم وسخافاتهم ويترك ضوضائهم وتملقهم ومجدهم الزائف خائر القوى

آه ،،، أيتها المدينة المسكينة كم أشفق عليكِ من هؤلاء التاعبون المُتعبون الذين لا يكفون عن الثرثرة وترديد الأكاذيب .

آه ،،، كم أحسدكم علي راحتكم على نومكم الهنيئ على تقاربُكم

وتراحُمكم على تساويكم فبينكم تختفي كل الفروقات والفواصل وتستوي كل الأمور فبينكم فقط تجتمع كل الأجيال وكل العصور وكل الأماكن وكل الأعمار في هذا الحي وحده لم يَعد للزمن ولا للمكانة ولا للوجاهة أي إعتبار، سُيقابلك من إستقر به المقام منذ ألف سنة وجاره منذ يومان أو ربما حتى ساعات، ستجد الأمير والغفير الكبير والصغير الرجل والمرأة وستجد كل القوميات ولكنك أبداً لن تجد أية فروقات إنهم حياة متكاملة ولكننا لا نشعر بذلك لأننا جهلة وحمقى فهم الأصل والحقيقة ونحن الصورة الزائفة الغافلة، ولكل منا إفاقة ذات يوم قد تكون قريبة وقد تبعُد قليلاً ولكنها أتية لا محالة، تطول جولتي بينهم إلى ساعات ولكنها مرت وكأنها دقائق قليلة وقصيرة، ولكنها فعلاً أراحتني كثيراً وعالجتني أكثر .

آه ،،، كم أكره العودة إليكم وإلى ضجيجكم الذي يكاد يُتلف العقول ولكن لا مفر لي من ذلك، وفى إنتظار النزهة الكبرى التي لا عودة منها أغادر أصدقائي النائمون الهادئون وأنا كلي شكر لحسن ضيافتهم ووفادتهم ومواساتهم لي وأن لا أكون قد أثقلت عليهم بدفني لهمومي بجوارهم وفي مدينتهم الرائعة .



وسواس

عرفتُه منذ سنة تقريبا أواكثـر قليـلا شـابا جميلا يمتلئ صحة وحيوية في النصف الاول من عقده الثاني على خلق كبير وعلى قدر من التدين ففي حياته شيئان مهمان يوليهما كل إهتمامه، فروضه الدراسية وفروضه الدينية ، فهو يسير بإنتظام في دراسته إن لم نقل بتفوق ويحافظ جدا على صلاته وأذكاره وأدعيته التي لاتفارق حقيبته الدراسية ، فهمه الوحيد أن ينهي دراسته ويتحصل على شهادته التي طالما حلم بها وأن تبقى علاقته بخالقه وطيدة ومتينة وأن لا يُعكر صفو حياته وحياة أسرته أي مكروه فهو دائم التفكير والتخوف من المستقبل وما يحمله الغد من مفاجات يدعو الله ليلا ونهارا ان تكون سعيدة وان لاتعتري حياته أو حياة أسرته أي مشاكل أو منغصات، فعائلته الصغيرة هي كل عالمه الذي يحيا فيه ، فهو مُقل جدا في علاقاته لأنه ببساطة خجول بعض الشئ وغيرماهر في مد جسور الصداقة الودودة في المجتمع الكبير الذي حوله ، ولذلك أكتفى بعلاقاته الحميمة بعائلته وبعض الأصدقاء الذين أختارهم بعناية شديدة من محيط دراسته وهم قلة يحملون نفس سمات شخصيته وطباعها التي يغلب عليها الحياء والتردد والإنطواء وكثير من الهواجس والوساوس وهنا يكمن مقتله ونقطة ضعفه الوحيدة التي لم يستطع التخلص منها أو الإفلات من هواجسه التي تلاحقه مع أبسط أزماته فهو دائم الخوف عليهم وعلى

أوضاعهم لأنهم كل حياته، ينتابه خوفا عظيما من أبسط الأمور وأتفهها ، ولايمكنه التخلص من وساوسه بسهولة والتي عرقلت حياته وحياة أسرته الطيبة المسكينة وأحالتها إلي جحيم لا يطاق ، على الرغم من تدينه الشديد وتعليمه المتقدم وحبه لأسرته الصغيرة كان هو أول ضحايا هذا الوسواس القاتل فوقع أسيرا لهذا المرض اللعين والفتاك فاكتست حياته سوادا قاتما بعد أن كانت مليئة بالفرح والصدق والحب لدينه ولدراسته ولأهله الطيبين الذين أعيتهم الحيلة في إخراجه من هذه الدوامة التي لاترحم محاولين إنقاذه بشتى الطرق والوسائل مستعينين بالمتاح وغير المتاح بالمعقول وغير المعقول ولكن دون جدوى، فالمرض الكريه كان قد إستحوذ عليه كليا وأحاله إلى شبح متهالك لإنسان كان قبل فترة وجيزة يُحتذى به في طيبته وتدينه وإجتهاده في دراسته، إنقلبت حياته الهادئة الخجولة رأسا على عقب ، فأهمل دراسته التي كانت هي كل حياته ولم يعد يستطيع أن يحرز فيها أي تقدم ففلتت زمام الأمورفيها من يده وخسرها أو كاد أن يخسرها، بعد أن شابت حياته العائلية بعض التوتر والشروخ جراء توهمه المرضي الذي لم يعرفوا له سببا . فهو دائم التوهم بأنه مريض وأن حياته في خطر حقيقي ، وأن هناك شيئ لا يعرفه يلاحقه في يقظته ومنامه ويتحين الفرص لامحالة للقضاء عليه ، إلتقيته في الفترة الاخيرة في إحدى العيادات الطبية جالسا في صالة إنتظار المرضى ينتظر دوره وهو شاحب الوجه جدا للدخول على الطبيب وفي حجرهِ رزمة من الأوراق الطبية والتحاليل وصور الأشعة كان يمُعن فيها النظر ويقلبها ويحاول جاهدا إعادة ترتيبها حسب أولويتها وأهمية وحداثة تواريخها . سلمتُ عليه بحرارة بالغت فيها قليلا ، ، إمتدحت صحته لمعرفتي المُسبقة بحالته النفسية الصعبة والمنهارة وأنه في أمس الحاجة لمن

يواسيه ويهون عليه مصيبته التي هو فيها، ، حاولت جاهدا أن لا أكون ثقيلا عليه وأن أكون واثقا من كلامي وغير متردد أو متشكك ، فقلت له في غير توقع منه بعد أن عرفت أن دوره في الدخول لم يحن بعد(تعرف أحسن حاجة ياخوي نور الدين إديرها توا شنهي .؟)(شنو بالضبط .؟) قالها في بحة واضحة قلت في غير تردد وعيناي لاتفارقان وجهه (إتنوض وتاخد هالورق وتطلع برا وتحذفه على طول إيدك وتروح ، ياراجل والله مافيك حاجة هذي كلها أوهام ووساوس وإنت راجل مؤمن وتعرف ربي إكويس ، حرام عليك والله بهدلت روحك وبهدلت هلك إمعاك وخربت إقرايتك والأطباء كلهم قالولك مافيك شيئ ، ، خير دعوتك ياراجل ؟) فرد علي في وجوم وتعب شديد (والله ماني عارف شنو صارلي إنحس في روحي مريض)(مانكش مريض ياراجل وبعدين منو أكثر من الدكاترة يعرفوا المرض ويزيطوا فيه كلهم قالولك ماعندك شيئ وأنت عارف هالكلام إكويييييس وعارف أن إللي فيك وعندك وساوس لا أكثر ولا أقل، وإحني نحسابوك راجل مؤمن وإيمانك قوي، لكن إخسارة طلعت إيمانك ضعيف و مهزوز) (ياخوي محمد إنحس في روحي مانيش إكويس بلهون ونحس في روحي مخنوق وحاجة واقفتلي في صدري وكل مرة تطلعلي حاجة) (لا حاجة ولا حوايج ولانك مريض أصلا إستهدي بالله ياراجل وريح هالعويلة إمعاك راك بهدلتهم في جرتك ،، تريح وراس خوي نور الدين ريح أعصابك قبل ماتخش في حالة صعب جدا إنك تخرج منها وراهو فعلا إنت تورطت فيها شوية) (زي ماقلتلك إنحس في روحي مش طبيعي وتاعب) (ياراجل إنت طبيعي جدا وصحتك مية مية غير إنت ربي يهديك والله مافيك حاجة، هذا إللي قالوه الدكاترة شنو جبت حاجة من عندي ؟) (تو إنشوف هالدكتور شني إيقول ونوريه التحاليل والصورة

إللي درتها أمس وربي إيقدر إللي فيه الخير إن شاء الله) (إن شاء الله إكويسات ولكن بالله عليك توعدني آخر مرة وتنتبه لهلك وخوتك وقرايتك وتلوح عليك الكلام الفاضي) (إن شاء الله إن شاء الله، ، رددها في إكتئاب ويأس كبير وهو يقوم مُتهالكا ومُتعبا من على كرسيه ليودعني في إبتسامة باهتة على أمل اللقاء في مناسبة تكون أسعد من هذه وفي مكان أريح من هذا المكان

دائم الهروب هناك شيئ يطارده

يحاصره يكاد يخنقه

لايعرف كُنهه يود أن لا يلتقيه

بأي حال من الأحوال

يتمنى ألا تنتهي الطرقات.

وأن تتشعب وتتشابك كل الدروب

وألا تخذُلهُ ساقاه

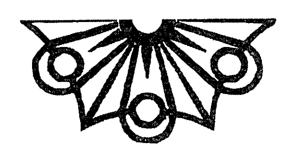
لعله يروغ منه فيفلت

ولكنه يعرف جيدا

أن ذلك مُحال

فهو ملاقيه ليس في ذلك شك

وإن طال الفرار



يوم أن رحلت أمّه

- إتوصى شيء ياحنة راني ماشي لطرابلس توا ؟
- بالسلامة مربوحة إنشاء الله — ربى إيجيبهلك زينة ؟

تـردُ عليه أمه في حنو بالغ وهي جالسة مع إحدى قريباتها التي تزورها بإنتضام منذ فترة ليست بالقصيرة يحزُم حقيبته المتواضعة ويركُنها جانباً ليست ببعيدة عنه ويتسمر جالساً في المربوعة ينفث دخان سيجارته وهو يشاهد أحد البرامج التلفزيونيه الرتيبة في إنتظار وصول صديقه الذي سيُرافقه في رحلته هذه

تربطه بأمه علاقة من نوع عجيب من نوع خاص ليست علاقة عادية كالتي تربط الأبناء بأمهاتهم فهي مزيج من كل شئ وأحلى من كل شئ، لم يعرف لها مثيلاً فيها من كل شئ بقدره لا يستطيع هو نفسه أن يصفها مهما إجتهد فى ذلك، علاقة روحانية سامية تجعله دائم الدوران فى فلكها مهما إبتعدت به المسافات ومهما غاب فى بطون المدن البعيدة، دائماً هي في قلبه وعقله وكل أحاسيسه، ولا يحس أبداً إنها بعيدة عنه لأنها دائمة الحضور في وجدانه وفي خاطره وفي عينه ،، دائماً يراها تكسو وجهها العذب الطيب إبتسامة الرضى تلك التي يحبها كثيراً، لا تُفارق صورتها جيب سُترته و لايحتاج لإخراجها من محفظته لتآملها لأنه وببساطة يراها في كل مكان وفي كل الوجوه وفي كل الطرقات وعلى كل الجدران، حتى على السجادة وهو في الصلاة، يراها في كل الزوايا وعلى كل المآذن وفي كل الكتب، و فى وجوه كل العجائز المُلتحفات، وفي

حبات المطر ،،آه ،، كم يحبها وكم يحب أن يدعو لها بالصحة وطول العمر في كل الأوقات ، علاقته بأمه فاقت كل شئ، ملكت عليه كل جوارحه، ملئت عليه كل دنياه يتذكر كل تفاصيل علاقته بها منذ صغره منذ نعومة أضافره فلا تضيع منه أدق التفاصيل لحديث أو لنظرة أو حركة جمعته بأمه ، يحفظ حياتها عن ظهر قلب في كل حالاتها، السارة والحزينة، فهي تسكنه وتتلبسه وتملك عليه نفسه في أدق تفاصيلها وحناياها وخفاياها النفسية الصعبة، يتصرف مثل تصرفاتها، ويستخدم كثيراً من جُملها وعباراتها ويستدل بمُعظم حكمها وأمثالها وأفعالها، إنه يتقمصها، إنه حتى ماثلها تماماً فصاروا ينادونه بإسمها مباشرة لشدة شبهه وتعلقه بها، إنه يحبها جداً ويحب أن يراها دائمة التواجد فيه .

وصل إلى طرابلس وإنهمك في ترتيب بعض حاجياته وأوراقه إستعداداً ليوم جديد متمنياً من الله أن يحضى فيه ببعض التوفيق ويُنهي بعض الأمور العالقة فى عمله .

إستيقظ باكراً في ذلك الصباح وتناول إفطاره البسيط المتواضع، وإنشغل فى إرتداء ملابسه مُتأهباً للخروج من غرفته الكائنة بمبيت طلاب الجامعة وفي غفلة منه تفاجأ بدخول أحد أقاربه لأمه عليه غرفته في ذلك الصباح فإندهش من هذه الزيارة المفاجئة والغير متوقعة والتي لم يعتادها منه

- السلام عليكم ورحمة الله ،، صباح الخير .
- وعليكم والسلام ورحمة الله وبركاته، صباح النور، كيف الحال شنو ها المفاجأة السعيدة أهلاً أهلاً، زارتنا البركة، هيا تفضل قعمز

وبعد عبارات الترحيب الحارة وسؤاله عن حاله وحال أسرته وأقاربه يعاود عليه سؤاله السابق في إلحاح هذه المرة

- خير إنشاء الله شنو هالمفاجأة

يرد عليه قريبه بأنه كان ماراً بالجوار وهو في طريقه إلى بلدتهم وحيداً فخطر عليه أن يمر ويأخذه معه ليرافقه في هذه الرحلة كي يؤنسه فهو ذاهب لإحضار بعض الأوراق التي كان قد نسيها هناك وأنها قد طُلبت منه فجأة هذا الصباح .

لم يترك له فرصة الإعتذار وأنه مشغول جداً وأقسم عليه بأغلظ الأيمان أن يرافقه

● علي الطلاق بالثلاثة مانك قايل حاجة وإتنوض توا شنو أهيا إخطيوة ،قبل لحداش إنكونواهاناي.

أُسُقط في يده ولم يجد حيلة للتملص منه ووافق على مضض ، ، خرجا بسرعة بعد أن أقفل باب حجرته المتواضعة بإحكام ، وفى الطريق التي خالها لن تنتهي أبداً راودته شتى الأفكار والهواجس والساوس لم يتبادلا الحديث كثيراً طيلة ساعات الرحلة فشئياً في قلبه وغصة في حلقه وخوفه من شيء مجهول كان يقبض بل يعتصر نفسه إعتصاراً، شيء لا يريد أن يسأل عنه لكي لا تصدُمه معرفته، ساد الوجوم طوال الطريق لا يكسر حدة رتابته شيئاً على الإطلاق، وما أن أقتربا من البيت وفي الطريق أليه رأى النسوة المُلتحفات بالبياض يتقاطرن على جنبات الطريق المؤدي إلى بيتهم فرادى وجماعات وهن لا يفعلن ذلك إلا لأمرً جلل قد وقع، إنقبض قلبه بشدة لرؤيتهن وإغرورقت عيناه بالدموع، وتحشرج صوته وإختنق ورفضت الكلمات أن تخرج من فمه اليابس الجاف وتخشب لسانه في حلقه وسرت فى ساقاه رعشة وبرودة نظرخلسة في خوف كبير لقريبه فرأى خطان حاران من الدموع تسيلان على خده.

لحظتها فهم كل شيء حتى بدون أن يُخبره بأي كلمة وإنجلت عن ذهنه كل غرابة هذه الرحلة وذلك القسم الغليظ المشئوم .

وأحس لحظتها أن القيامة قد قامت،

لقد ماتت أمه، فأنكسر قلبه وظهره

إشتقت إلى أمي كثيراً فلمثلها يكون الإشتياق حارا

مؤلما يُقطع الأوصال يحرق الأكباد

بحثت عنها في أماكن كانت تحبها

تحت شجرتها وارفة الظلال قُبالة بيتنا المتواضع

حيث تمُضي القيلولة هناك ترقُب شياهها وهي ترتع

إشتياقي إليها أبدي يسكُنني منذ الأزل لانهاية له

ما أصعب فراقكِ يا أماه رحلتي باكرا

لم تُخبيرني حتى أتهيأ ولو بإشارة بإيماءة

فلقد كنتُ غافلا

تركتيني وحيدا مبتورا غير مُكتمل النمو

عاجزا عن الصراخ حتى عن التنفس

أعياني يا أماه البحث

ملتني كل الطرقات كل المسارب

حتى عُكازكِ معينيكِ الوحيد إختفى ولم أعد أراه شجرتكِ وارفة الظلال أصابها الخريف باكرا

شياهكِ تاهت ولم تعود

إني عاتبا عليكِ أشد العتاب يا أماه

تعرفين إني أحتاجكِ على الدوام

ومع ذلك فضلتي الرحيل باكرا .



العـــراف

إستقبلهُ وخَطاَ معه خطواتٍ متأنية حتى، يُبلغهُ الباب الذي ترأى له إنه إبتعد، بل لقد تمادى في الإبتعاد، بدا عليه حُزناً قاتماً، زاد من شروخاً إعتلت وجههُ الحنِطي هي تجاعيد، ولكنها غائرة عميقة بدت كأنها أخاديد، في كُل خطاً منها قصة ولكل حفرةً في وجههُ المحفور كثير الحُفر رواية إنها تشي بهِ وتفضحُ ما قد يُحاول إخفائهِ عنهم، عن عيونهم النهمة المُتفحصة، تركت فيهِ آلاف الحكايات آلاف الأخاديد المُمتلئة حُزناً وهماً، إنه يكره هذا البياض الذي توجهُّ به الزمان وجادت به عليه أيامه الكالحة.

أقسمَ له أنهُ ما عادَ يهجعُ في الليلِ إلا قليلاً.

لماذا وهبتهُ بياضاً يكرهُه وسرقت مِنه ذلكَ السواد اللامع الذي كان يزهو بهِ، إن البياض يعني الفضاء الواسع اللامتناهي، يعني الإقتراب والإقتراب يعني بلوغ المُنتهي لرحلةٍ لم تطلُ طويلاً، لقد إنتابته هذه الحالة منذُ مُدة، لم يعرف متى بالضبط، ولكنهُ يعرف أنها حلت به وتمكنت منه، إنه يشعُر بالخواءَ وفراغٍ رهيب، ما عاد يُعنيه شيء، ما عادت قِصصهُم تُلهيه وتجلُب له السلوى، بل أنها ما عادت تُهمه، لقد صمَ أذنيه عنهُم وأنصرف قلبهُ إلى مكانٍ آخر، يبدو بعيداً والطريقُ إليهِ شاقة، قد لا تُعينه ساقاهُ على الوصول، حتى قلبه كاد يُعلن الإستسلام المُريع، إنه هُناك في الأعلىَ، لم يُعد يشعُر بالإنتماء إليهُم إلى أرضاً أنبتتهُ يوماً وأطعمتُه من جوعٍ فاسدٍ كافر، كاد يُقتله يخنقهُ ومن يختنق

يُغادرنا سريعاً يفقد الحياة والتواصل هكذا هو جوعه السافر صاحبُ الوجه الكريه، لن تَطالهُ يداهُ فيستِلُّ منهُ روحه التي يحياَ بِهاَ، إنهُ يشُك بأنَ لهُ روح.

هل للجوع والموت والإختناق والألم روح..؟

إن كان لا فكيف ينتقل ويحل ويُغادر بسهولة بل بسُرعة مُدوية فاقت الجميع وأصابت الرؤوس بالدوار، من مَكنهُ من ذلِكَ وأعطاهُ هذهِ القُدرة الرهيبة على الصفع ثُمَ الهرب؟

إنه يختطفهمُ عِنوةً مُدجج بأسلحة غريبة مُتطورة فتاكة سريعة القتل والإختباء وأيضاً اللامبالاة، لا يُبَالي بهم وبإستجدائهم لهُ، إنهُ عنيد وضخم وكبير ومُصر، يتشبثون ولكنهُ يُصر على إقتلاعهم ويرمي بهم أرضاً، بل تحت التراب بغِلظة يكرهُهم كما كرهوه يحقد عليهم يتربص ويتفنن في رسم نهاياتهم ولكن أيعُقل لمن أطعمهُ أن يبتلعهُ، أن يقتات عليه،؟ على ضعفه وأحزانهُ؟ يأتُرى هل في ذلك غدرٍ أم ماذا؟.

لم يتلقى الإجابة، فالأُمور صعبة والإقتراب من النارِ قد يعني الإحتراق قبل الأوان، إنه لا يُطيق الألم، أعجَزُ مِن أن يُجابه ناراً، إنهُ جبان وخائِر القوى، نَفذَتّ كُل حِيله، هل ستُنفر مِنهُ الوجوه التي ظنهَا محُبة، إلتصقَ بها ذاتَ يوم وصَدقهاَ، عِندَما وعدتهُ بالأمان وأنها لن تَتخلىَ عنهُ مهما حدث، ما بالها لا تفي بوِعدَها لهُ، ربمُا كانت نهايتهُ مخُتبئة في هذا الهدوء الذي إكتنفهُ فجأة، لقد شعر بُغصة في صدرهِ، ودماء ساخنة أخذتَ تلهثُ مُسرعة في مسارب تبحثُ عن مُخرج لقد مَلتّ البقاء، أرادت أن ترى عالماً حُرمت منه طويلاً، ولكن الطُرق مُقفلة إلى حين.

لايعرِفُ متىَ ستشُق طَريقهاَ وتتناثر فرِحة باللقاءَ الذي يسرُها كثيراً ويُحزنهُ أكثَر، هل سيُصاب بالجفاف عما قريب، وتغادرهُ المياهُ

التي يحتاجُها.؟ إنها زَادهُ الوحيد في صحراءُ رحِلتهُ، فلماذا لا تَبقىَ.؟ كم يتمنى أنَ لو بيدهُ إجَبارهَا علىَ البقاء، لكن لا حيلةٌ بيدهُ فكثيراً من الأَحاجيَ والألَغازْ لم تُعطي لهُ الإجابةَ عنهاَ لقد حُرم الكثيرُ مَنَ المعَرفَة، المعرفة مفاتيح لما هَو مُغلق مُبهم إنهُ يتوق جداً لفك طلاسِمهَا، ولكن لن يُسمح لهُ بذلكَ أبداً إنها أكبر من كُل شيء، ربما هو نَفسهُ لُغزاً في جوقَةُ الأحاجي الصعبة تلك التي خُتمت بسرية، بل إنهُ سري للغاية، لربمًا تعلقَ بهِ حلاً قريب وسهل ولكن لا يراهُ، لم يتحسسهُ، لقد أصابتهُ الحيرةَ فأخطأَ العِنوان ولم تصل يداهُ القاصرتانَ إلى حافةٍ يمُكنهُ التشُبت بَهاَ، رُبماَ رأىَ ورائِهاَ أشياءً لم يعرفها ولم تخطر على باله، قد تكون نافعة ليُتمهِ المُزمن وتوهانهُ الأبدي المحُير، وأيضاً رُبما تكون أكثر إيلاماً وإيذاء فلن يُتعب رأسهُ الأبيض الفارغ بأشياءً غير مُؤكدة وبالتالي غير مضمونة، إنهُ عَطشانٌ ومياههُ ستنفُذ عن قريب، إنها تطلُب الضياء لكن الضياء مُحرق، الضياء جاف وواسع، السير فيه يُنهك الجميع لا ظُل يُستظل بهُ والشمُس مُستشاطة غضبيًّ عطشيًّ ستسلُبهم ماءهُم مَعينهم الوحيد،وتتركهُم كما تركت أشجار الطلح يابسة واقفة في عراءٌ مُحرق، بعد أن إفتكت ماكانت تحَياَ بهِ مِنْ عُروقها من مساربُ الحياةُ فيَهَا، إغتصبت جرياناً مُتدفقاً من أودية وأنهار كَثيرة فأحالَتها إلى طُرقاتٍ للمُوت والغُروب.

هل يُعقل أن تكون شمسهُ حارقة حاقِدةَ ناهِبةَ، ولكنها تهِبُ النور في أحيانٍ كثيرة الدُفء والحياةً.

يُخالجه شعوراً بأنه سيتلقىَ إشارة..ومضة من بعيد قد.. قد تحمل معنىَ... قَدّ تحمِلٌ حلاً للغُز.. لأحُجية.

تمنى أن تسرُه الأيام بذلك أن تخصُه بعلامة، لقد اشتاق كثيراً

إلى نوراً إنفصل عنهُ ذاتَ مرة هو يعرفهُ ولكن لم يعد يتذكرهُ جيداً، هو ليس متأكداً تماماً، هذا ما ينتظرهُ تأكيداً بلا تراجُع أو تشكيك، سينتظرُ تلك اللامعةِ إلى مالاَ نهايةَ.

حتى الآن كُل الإشارات تُخيب ظنهُ، لم يسمعْ عنْ بارقَة أملْ لاحتْ لاحدٍ قبلهُ،لم يعرف شيئاً تمَكنَ من النَجاةْ، لقد سارَ الكثيرون إلىَ حيثُ لا رجعة، رُبما أكتنفهم نورٍ مُبهر ورُبما ظلامُ دامِسْ هوَ لا يعرِفْ، ومَنْ لاَيزالُ يراهَم مُنتصبون ينتظِرون الدور إلى العبور إن قُسيمات الخُروج التي بأيديهمْ ممُهورة، هيَ بدِونِ عودة، يقبضونَ عليَها بشِدَة، بل هيَ مُلتصقة بهِم مُنذُ البدِء مُنذُ ذَلكَ الزمن رُغماً عنهُم، قرءوها مِئاتَ المرأت، قلّبوهَا علىَ كُلِّ الوجوه يبَحثونَ عن التواريخ والأرقام ولكِنها قُسيمات مُغادرة، عجيبةَ لا تحمِل أرقاماً، إنها مُزدحمة بالحُروف فَقط، مكتوبة بحِبر سري لا ولن يتَسنَى لأحدٍ قراءتهُ، إلا في حينهِ، متى ذلكَ الحينْ؟ لا أحد يَعرفْ.

حتى العرَاف أرهقهُ البحثُ والتنبؤ، أستعان بالسحرةِ ولكنُهم عاجزِونَ، كُلما إزدادَ البحثُ تعاظمَ الشقاَء ونفذَ الماءُ وإقترب الجفَاف، إنهُ العطش، لقد أهرقُوا ماءَ وُجوههم أمامهُ ركَعوا وسَجدوا لهِ نصبّوه إلاهاً، عبدوه تغنوا فيه بالحركات والإيماءة، لكنهُ أصرَ علىَ ألاَ مَزيد، لا يُحسن بهِم أن يُذلوا أنُفسهم أكثَر مِن ذلكَ،كلٌّ أخذَ نصيبهُ بدون مَشورتهِ ولا عِلمهُ، لا يليقُ بهِ أن يزيدُهم ولا قَطرة، فالأمور قد حُسمت وجميع القِرب قدْ مُلأت وأيضاً قد ثُقبت،لا أحد يعرِفَ متىَ ينفذْ ما بقريتهِ، رَبما... ربما ارتبط بمدى وسع هذا الثقب الذي أُحدث في قربتهِ غصباً عنهُ، لكنهُ غيرَ راضٍ عَنْ تسُربٍ أصابَ معِينهُ، مَنْ منا لا يُريد إمتلاكَ قِربةً غيرَ مثقوبة، مَنْ مِنَا لا يفِرُ مِنْ سياطَ الشمسِ الجالدة الحاقدِة وفحيحَ سُلطانِها المُحرق الذيّ يأتي بمعيتهِ الخريفُ

مُبكراً، مِنْ مِنَا لا يكرهُ خريفاً تتساقطُ فيهِ أوراقَ أحبتهِ بعد أن أعياهَا التعلُّق الواهيُ فأرداهَا الجفاف صريعةٍ هامدةً، أبتلعتَها أرضاً جوعىً، إنهُ الصريعُ الذي يعرفهُ بعضنَا جيداً، إكتشف سرَ تخوفهُ مِنْ هدرَ الماءَ بِدونَ سبَبٍ وداعٍ ولا طائِل، إنهُ إرتباط وثيق ببواطِن نفسهُ الّتي تَخشىَ وتخافُ الّعَطشْ والجفاف المُحرق، فمن غرِقَ في بحور الجفاف ما عادَ قادراً علىَ بلوغِ أي شَطّ، من ظَلَ السبيلُ في تِلك الأثناء فلا يطمع ببارقةٍ تهديهُ إلىَ طريقاً قويم يرتوي فيه،إنهُ جهلهم الذي جرهم إلى هُنا، لذلك تمنى المعِرفة، رُبما تغيرت أموراً ولم يختر تلك الطريق إن الجهل خوفٍ وطاعةً عمياء، ولكنهُ سيفاً مُسلطاً، لأنه حاد ويجرح وهو يخاف الألم ويخاف الجفاف، الجفاف حتماً سيصرعه سيسقط مُتهاوياً إلى قعرٍ سحيق مُظلم لا يُسمع فيهُ إلا صفيرُ الرياحَ الكارهَة المُزمجرة بغضبٍ، المُتوعدة بالويلُ والثبور، إنـهُ يخاف فلن يُغامر، المُغامرة طيش، وربما كانت الإستكانة نجاته... وطاعته خلاصُه، إن العطش لصٌ مُحترف إنهُ كبيرهُم الذي علمهم السرِقة وأعانُهم عليها، فأستشاطَ غضبُ الشمس فزادت من عذابهِم ما عادَ يعرفها أهيّ مُحبة أم كارهة، هل هي مانحة للحياة تهبُ الإخضرار والنماء.. نعم.. ولكنَها تُرسل الإصفرار وتوصيةُ فيُخرب كُل شيء ويقتلعُ الجُذور من الأعماق ويجلب العطش هذا الكريه عدو الحياة، تجف الخُضرة وتشحب، تذبل ثم تذروها رياحُ الغدر إلى قاعٍ صفصفٍ لا قرارَ لهُ، ولكن إلى أين، هل حقاً هُناك إنتهاء.

سيَقدِم إلى العراف ليسألهُ فهو مَن أدعىَ معرِفة الأشياء وتباهيَ بذلك زمناً، لقد قرأ العيون الغائرة في جماجم أُناسٍ رحلوا حاول أن يستنطقهم ربما أرسلوا إشارة تُنبئ عن شيء لكن لم يصله شيء، لقد محى الجفاف كل الخطوط التي أراد تتبُعها وإحتلت الصُفرة كل

المساحات، إختلط عليهُ الأمر وضاعت مِنهُ كُل المسالك إن إصفرار الصَحراَء هو حليفهُ الأَولُ كما كانت ضحيتهُ الأولىّ هل تتقلِبُ الضحيةَ خادمةٍ لجلادهِا، للجفاف والإصفرار أُموراً عجيبة وأيادي طولىًّ، لا ناموس يتحكُم في تصرفاتهُ.

إزداد إمعان العراف وتمعُنهُ، لكنهُ لم يهتدي لشيء،لم تبدِ-لهُ بارقةً، العيون صَارتْ حُفراً تتقافز فيها ساحِرة شقَية، وتختبئ فيها الجنية التي لن تبوح بسراً أشُكُ أنها عرفتهُ، العطشُ شديد التخفي والحِرص كما أنهُ شِديد الصراحة والوضوح والفتك، لن تعِرف كُنهه ولا حتَى أبسطُ أسرارهُ، وهوَ كتومٍ كالح، أياديه الخشِنة لا تتعبُ أبداً من الحصاد، أنفاسهُ تُرسل رياحٍ صرصرٍ عاتية تجلُب الإصفرار والإنكسار وتُنذر بفراغٍ رهيب مُهيب وسكون لا يمُاثلهُ سكون لقد أعانت الصحراء جلادها في إبتلاع ضحاياهُ، إن له سرٍ يُذهب بالعقول، يُقلب ضحاياه أعواناً يستميتون في إعانتهُ والدفاعُ عنهُ.

إنهُ نفسُ العراف الذي قال له ذات مرة عندما جائهُ فَزعاً.

يتذكرُ جيداً لن ينمحي ذاك الحُلم وتِلكَ الرؤياَ مِنْ ذاكرتهُ أبداً، لقد رأىَ أنَ قدماهُ تَغِرقان في رمالٍ سوداء.

إستجداه تفسيراً لما لاحَ لهُ في نومهِ.

طمسَ العراف يداهُ في ماعون مليء بالماء كان أمامهُ، إنَتقلتْ حُمى شَهباء رهيبة تركبتهُ، إقشعَر بدنهُ وتَسبَب في صُداع رهيب ليس كل النبؤة تُعرف، لقد ظَنَ أن ذلكَ لنْ يحدُث، هو يعرف أن بعض الظنِ إثم، كُل التفاصيل صارت غائبة، بل هربتْ منهُ، مَا عادَ يعرفُ شيئاً، إنه كالشيء النفيس يُعثر عليه ويُكشف عنه لا يلبثُ إلا قليلاً حتى تتناولهُ الأَيادي وتتلقفهُ العقول ويصيرُ خبراً بعد عين، حتى أثرهُ وأثارُ

خُطاه على رِمالٌ العراف الذي يَدعي معرفة كل الأحاجي تذروها رياحٍ مسمومة، ربمُا كانت في بطون الكُتب القديمة حتى الصفراء مِنهَا، وتمائم الكهنة والسحرة، لقد تعلموا المُكر ولكنهم جهلوا سياسة العطش ومراوغته المُخادعة، حاولوا فك الألغاز فأستعاروا من الرياح قوتها، لكنَ ذلكَ واهنٌ، كُل شيء مُستعار ينفضح تذروهُ العاديات، يعودُ غصباً عنهُم إلى مُعيره، سيتعلمون كيف ألا يُخضعوا النواميس وقراءات الغيبِ التي إدعوها خضوع المُذنب وألا يتطاولوا على نبؤةٍ سبقتهم منذُ الأزلٌ، وتمَ فيهاَ الأمر، لقد ذاقوا مرارة الإقتراب منها وأبداً لم يعرِفوا حلاوةَ فك طلاسمِها.

مَا أحسنَ ذلكَ القول الذي قالهُ الساحِرُ ذاتَ مرةَ.

(أَنَ لا دخلَ لي في ذلكَ، إبتعد من هُنا إن للجفاف والعطشِ أعينٌ كثيرة تترصد كل شيء) وقال له مُعقباً.

(للألغاز وجهان وجهٍ لا غرابة فيهُ يعرفه العوام ولا خشية عليهُم من معرفتهِ ووجها لا ينبغي لأحدٍ غيرهُ، إنه سر الأسرار وكنز الكنوز لن تقع عليه الأيادي مهما بحثت ومنت النفس العُثور عليهِ وإحتواءهُ حتى خاصتهِ ما ضفروا إلا ببروقٍ لامعة وإشاراتٍ ضنينة ليست هي كل شيء، إنه يرى في صِدَق نبؤتهِ صواباً لا يحتمل الخطأ وسراً لن تقدر على حملهُ لا لشيء إلا لأنهُ لا يوجد لديكَ شيئاً يحتويهُ، سعيكَ وراءَ معرفتهُ خطا لا يحالفه الصواب أبداً) ثم أردف وتعابير وجهه تعبر عن عجزاً تام.

"حتَى نحنُ السحرة أعجز من أن نبلُغ شيئاً أو ندفعُ إصفراراً بدأ يدبُ في عروق الماءِ فينا فالإخضرار صار شحيحاً".

لن يكونَ هُناك خيار ولا بديل عن الطاعة المُطلقة وتلقي كل ما

يقول ويأمر، نحنُ حطبَ لكُل فِتنة تَتَقِد بنا النيران يُعرف بها هَو ونخبو نحنُ، نصيرُ رماداً تذرونا رياحُه العاتية في فضاءً واسع ثم يلحقنا نسيانٌ كبير، لكن قبل ذلك سنحوز منه إهتمام في لحظةٍ ما.. فَاقتْ كُل إهتمامهِ بنا طيلةَ أعمارنا، سنَرىَ في بُرهة.. يدهُ مليئة بالمفاتيح، حلول الألغاز بجعبته إنه الأقوى إنه أكبر منك يحتويك، تحت قدميهِ تموتُ النبوْة وبين يديهِ تنتحرُ الأحاَجّي فما عادت تعني شيئاً، إن بهِ إتساعاً لا يحدهُ أُفق سيصُمت العراف وتخرُس الشباحة التي أذهلتنا بأمورٍ كانت تُتقنها، ويطوي الكاهن صحُفهِ تحَتَ إبطيهِ ويُغادر مُنكس الرأس حسيفاً كسيفاً، ما بوسعهِ فعلُ المزيدْ لقَد إنتصبَ الهلاك وإستطال حتى صار أضخم من كل حيلهِ ووصاياه، إن ما يحدث هي الأمور التي لا نَفهمهَا، قهرت كل قوىَ التمائم، التي يُعلقها الفقي في رقابنا لتحرُسنا وتُبعد عنا الأرواح الشريرة.

نعم إنه غُصة في حلقٍ وصدَر كل من حاول الإقتراب.

يبدو أن المنع سيد الموقف هُنا، والإستسلام رايةْ الجميع وبدأت الأشباح تترائي للكُل إنها خيالات لأشياء لاتُشبه أشياءً يعرفونَها،كُل ما حولنا صار مُغايراً، إلا اصفراراً كرهناه هو الأكثرُ حضوراً والأكثرُ حظاً والأكثر إلتصاقاً، لقد جادَ على كُل شيء بشحوبهِ المقُيت وعطشهُ المُزمن وإنتشَر سراباً عظيماً لم يروا مثلهُ من قبل.

بَحثَ عنهُ طويلاً وجدهُ يجلس القُرفصاء في مكانٍ قصي ومنزوي يمُعن النظرَ في الفضاءَ طويلاً يحاول مُعاودة رسم ما يراه بعِوداً في يدهِ على رمالٍ تتحرك بسرعة أمامهُ، تغلبهُ سرعة الرمال تمحو ما يرسم وتشوهه، يكفهِرُ وجههُ ينتفضُ واقفاً يَتهادىَ خطواتٍ يكسرُ العودَ بين أصابعهِ يُحدث طرقعةْ خفيفة يسقُط معطوباً من يدهِ على رمالٍ لم

تهدأ، يُغادر مُتمتماً تتولىّ ريحاً غريبة مسحُ خُطاهُ بسرُعة، سمعهُ يصرخ (الكون كلهُ عبارة عن قرباناً كبير نحن لا شـيء..او. ربما كل شيء)

لقدّ حذرهُ الفقي من العبث بتميمة علقها على صدرهُ، لكنهُ أراد أن يعرف، لقد غلبهُ الفضول، إنها خطوطاً تُشبه خطوطاً مرسومة على راحةِ يدهُ، هي قديمة ومُتداخلِةَ ومُتعرِجةَ.

كثيراً ما كانت الشباحة تمُسك بيده وتمُعن النظرَ فيها، أيمُكن أنَ ثمة علاقة تجمع بين الرقعة وباطن يدهُ وبين الفقي والشباحة والعراف، إنه لا يعرف ماذا تفعل ولا ماذا تقول ولكنه يتعجب كثيراً كيف تسنى لها أن تعرف، ربما لاحت لهم بارقة لامعة كان ذلك يسرهُ كثيراً ولكن يُدهشه أكثر، لم يشغلهُ أمرَ تصديقها كثيراً، لم يعد ذلك مهماً الآن.

لقد تناهى لسمعهُ أنهم دعوا لإجتماعٍ يحضرهُ العراف والكاهن والفقي والساحر والمرأة التي رآها بالأمس، وأبنها وأيضاً الشباحةَ تلك العجوز الداهية الماكرة في كهفٍ يطلُ علىَ حافة الوادي في إحدى أطرافهُ المُقفرة، مَغارةٌ عميقة واسعة تمتد طويلاً تحت إحدى شعابه، تتصلُ بالوادي بحافةٍ سهلة تجود عليه الشمسُ ببعض الضياء الباهِتّ الشاحِبْ تطرُد بعض الظُلمة التي لاتُغادره دوماً، مليء برسوم ونقوش بعضها مألوف وأُخرى مُستعصية وشديدةُ الغُموض كانت حسرةٌ في نفسِ كُل من أدعى القُدرة على فكِ رموزها وتشابُك خطوطها، لا يعرف أحدً-كم مضَى عليها هُناك، موغِلة في القدِم حتَى لتبَدوّ كأنها مُنذُ الأزَلّ يرتادهُ العراف أكثر مِنّ الجميع يَتخِذ مِنهُ خلوة يمُارس فيها بعض طقوسهِ التي ما كان ينبغي لغيرهُ أن يَشهدهَا.

إنسلَ الضياءُ هارباً لا يلوي على شيء وأكملَ الظلامُ إحتضانهُ للكون إنتصف الليل أو زاد قليلاً عندما فاجأهم بحلولهِ عليهم كقضاءٍ مُستعجل، سمع العراف يقول بحِدةَ.

"إنَ مزاميرَ الفناء سبقت مزامير الحياة".

قالت الشباحة "ولكنَ الحياةُ أصلح وأبقى لمن هُم مِثلنا".

قال الكاهن "كَيفَ لنَا أن نحيا وإصفراراً يُحدِقُ بنا من كُل ناحية"قالت المرأة"ولكن تُخلق الحياةُ في أرحامُ الكائنات حيثُ الظلامْ، لربمُا كانت عودة للظلام عودةً للحياة والخَلقِ مِنْ جديد".

قال الرجلُ الذي جاء يسعى من أقصى الوادي"ولكن سمعتهُ إنهُ نفس اللحن الذي سمعتهُ يومَ أن ولدتني أُمي،لاشيء معهُ لقد كانَ وحدهُ ليسَ معهُ صوتاً أخر، فما عساهُ أن يكون لا أستطيعُ إستجلابهُ من ذاكرتي مهما حاولتُ هو عصي على التشبُه، إنه مُنفرد إشيروا عليَّ... مُقلباً بصرهُ بينَ الحضور علهُ يجد إجابة شافية،فهُم من أدعوا معرفة الغيب والسماء والنجوم... هل ماسمعتهُ حقيقةٌ أم أن السراب غشاني وأصابت أُذناي هلوسة الضجيج...؟".

أطرقَ برأسهُ هُنيهة مِنْ الوقت كأنهُ يحاول إستذكارَ شيئاً عظيم، ثم استطرد بعينان زائغتان.

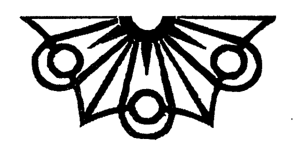
"إنه نفس اللحن الشجي الحزين الذي يُدغدغ سمعك بلطف، لا يكاد يُسمع وأنت تشُق وادياً عميقاً مُغبراً يغِلبُ على شعابهِ الشحوبَ تزيدُ من شحوبهِ ولولةُ الريحُ تُعابثُ أشجار الطلح اليابسة إنه يُشبه نحيب الحمام البري عندما يشدوّ حزيناً في قيلولة صيف مُلتهبة، سادت فترة من الصمت الثقيل ألقت بظِلالَها علىَ الجميع ثم قال "إنها هُناك مُنذُ البدء قبل كُل حركة يوم أن كان الجمود والسكون هو السيد

بلا منازع والهدوء موسيقى خالدة والضجيج لم يُولدْ بعدْ".

قال الصبي الذي كان مُلتصقاً بأمهِ في غفلةٍ عن الجميع أذهلتْ كُل الحضور "سيفور التنور خُبزاً وماء... ولكن أتقتُل الحياةُ الحياةْ" وتبسمَ لكنهُ لم يجد مِنهُم مُجاراةً، إنقلبت إبتسامتهُ وجوماً، أخافته نظراتهم المُميتة التي حدجوهُ بها، فأنسلَ هارباً لا يَلوي علىَ شيّء.

طــرابُلس

شــهرهانيبــال 2010ف



إنـــها المديـــنة

وما أكثرها كل يوم، جاعلين منه سوقاً مُصغرة رائجة لبضاعة مُستعملة وجديدة ورخيصة، تنتقل من يدٍ إلى يد ومن طاولة إلى أخرى، تكسب بعضهم دُرهيمات بخسة في آخر النهار.

إقترب منهُ النادل ملوحاً في الهواء بكوب قهوته المُعتاد، قذف به على الطاولة، بلهجة فيها الكثيرُ من السُخرية قال له :((شورك ناوي على حاجة يا حاج موسى... شنو هالسويرية السمحة ... آه ... ياسيدي مُبارك من توا...)) لم يعرهُ اهتمام ولم يردُ عليه، فهم النادل أنه على غير عوائده، وأن بأجوائه غيوم، قفل راجعاً من حيث إنطلق، وإبتسامة عدم الرضا على شفتيه، لم يغفل عنه تماماً، كان يُرسل عيناه تتفرسه من حين لآخر عساه يلتقط شيئاً ذا معنى يُفسر كل هذا الانقلاب المفاجئ.

سمع الكثير من التعليقات المستفزة من هنا وهناك، بادرهُ أحدهم يحتل رُكناً قصياً من المقهى والشرر يتطاير من عينيه الضيقتين ((آمالا عندك موعد إمعاها... إخويدم ولمس... نوض برااالها غادي... هاوينا إيقابل خريتها مفتوحة..إستغابط بالك...)) وأردف آخر وهر يُطبق على نصف سيجارة بشفتيه الضخمتين وفمه الواسع المُظلم ((إيح لابسلها لمبرقط وين طحت فيها ياسي موسي هالباهية ... وبقديش بالله ... ماتقوليش هاديتهالك ... كنهاذا ترا خلطنا علي صاحبتها ولابنت سيدها ... بالك نظهروا بحويجة..))

قال ثالث وابتسامة ماكرة خبيثة تعلو وجهه لمعكرش لمكرمش وكأنه محروث بمحراث-يدوي خشن ((يا ودي هذا منو اللي بيهديله... ولا حتى بيعبره ... مالقوها اللي يلهدوا ... يا بالا... أأأأ..أسعفه جاره بسرعة يا بالا إللي يمردوا.... هذا أشبح أما حبل مدهم عليه وسالها منه ... إنشاء الله إيطيح فيك مولاها طايرتله... ويعرفها... والله ما هو حاز عليك واحد... يا قطوس لخرب..))

إنفجرت بين الحضور قنبلة من الضحك الشديد أدمعت عيون البعض أمعنَ عن قصد في تجاهلهم وتمطي رافعاً ذراعيه لأعلى فبدت أصابع يده اليمنى المشوهة من فم كمه المزرور على فراغ، إنتبه فجأة قبل حتى أن يتلذذ بتمططهِ ذاك وأنزلهما بسرعة رهيبة كمن عضته أفعى شيطانية وأرسل عينيه تتفحص الجمع الذي يُحيطه علَ أحدهم رأى ماخشي أن يرُيهم إياه مُنذ أن عرفهم، هروباً من تعليقاتهم المُتسائلة ورؤوسهم المُهتزة بعلامات التكذيب والإندهاش.

لقد نشب شجاراً في أقصى المقهى،كثيراً ما تنشُب بينهم النزاعات لأتفه الأسباب فترتفع الأصوات بالسَباب والشُتام القبيح ولكن لا تتطور الأمور إلى أن أبعد من ذلك، هم أجبن من أن يتورطوا في عَراك جدي يُكلفهم كثيراً، لقد-دأبوا على هذا النوع من الصراع الخفيف الذي لاتتعب فيه إلا الحناجر.

لهم عادات قبيحة وسلوكاً مُشيناً لا تقبلهُ الفِطرة السوية، لايكترثون بأحد ولا بمشاعر جُلساءهم، يبصِقُون أينما كان على أرضية ذلك المقهى المُغطاة بأعقاب سجائرٍ من كل نوع وصنف إنهم بعيدون جداً عن كل ما هو إنساني الإيتيكيت البسيط والذوق السليم ليس لهم علاقةٌ بهِ لا من قريب ولا من بعيد الأدهى والأَمرَ من ذلك إعتياديتهم المُستفزة

للأعصاب وكأنهم يمُارسون فضيلةً لا رذيلة.

علا صوت أحدهم بحِدة ينبزهُ بأحد ألقابه الكريهة فاعترته رعشةً في وجههِ المُقطب الشاحب كمن قرصته ذُبابة أو لسعتهُ بعوضة.

جال بعينين زائغتين على الحضور عساه يجد ذلك الصديق الذي اعتاد أن يستلف منه بعض النقود كلما ضاقت الدُنيا بوجهه إنها مبالغ زهيدة كان يُجاهد لردها بسرعة حتى لايتعرض لإهراق ماء وجهه عند مُطالبته إياه بسدادها.

تنتاب المقهى بعض الضجة العالية مع قدوم قادم جديد لا يعرف لهذا المكان طقوسه وديدنهِ، ومن رواده كثيراً من المجاذيب الذين يُفضلونه على غيره من المقاهي لعدم وجود من ينتهرهم أو حتى يكترث بهم فهُم لا ينفرون منهم ولا من ثيابهم الرثة المُتسخة وروائح أجسادهم العِفنة إنها مزيج كريه من كل شيء إبتداءً من العرق وليس آخراً البول الذي اتخذ أشكال خرائط مُدهشة وعجيبة مقززة على ملابسهم التي فقدت ألوانها من شدة القِدم والتهلهل.

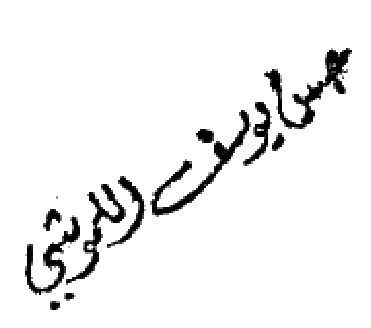
إكفهر وجهه المليء بالجروح والشروخ، قد تكون إندملت ولكن نُدوبها باقية لاتزال إنتابه إنزعاج وقلق كبيرين عندما لم تقع عيناه على ذلك الصديق الذي قال له ذات مرة أنه يكره الموت أشد الُكره يقشعر بدنه وينقلب مزاجهُ ويتعكر صفوه كلما دلف إلى المقبرة حيث يرقد والديه لتأدية زيارة ثقيلة وواجبة يدعو لهما بكل شيء إلا ذلك الدُعاء الذي يدعو به بعضهم فيه الكثير من المُجاملة والنفاق أن يلحق بهما وبمن يُحب عاجلاً غير آجل هذا الدُعاء لم يدعو به أبداً لكُرهه الشديد للموت فهو لا يُحب أن يكذب في هكذا مكان وفي حضرة هؤلاء الرقود، ففي غفوتهم إنتباهة وفي إنتباهتنا غفوة وغفلة ومُصيبة، فلن

يُفلح من جر إليهم رذائل كابدوا طويلاً للهروب منها ويجاهدون عظيماً للتنصل منها وإنكارها إنه مكاناً يعمهُ عُمق البياض لون الحياة الحق لا يُحسن بأحد أن يُدنسه.

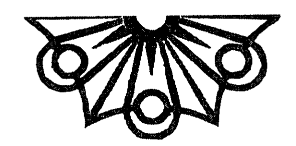
يكره بؤسه وقلة حظهِ في هذه الدُنيا، نعم إنه غير محظوظ حتى في أبسط أموره، فنجان قهوتهِ الذي أعدهُ بنفسهِ ليلة أمس ليتلذذ برشفهِ في ظلُمة غرفته مع سجائره وقعت فيه ذُبابة قاومت الموت وفرّت تسعى على لسانه في حركة مُقرفة أفسدت عليه مزاجهُ وإشمئزت منها نفسه وكبده، قال في نفسهِ بحرقة ومرارة [[الربيع من فم الدار إيبان]] يبدو أن حياته خريفٌ مُتصل مابال هؤلاء الناس إن تعليقاتهم السمجة ونُعوتهم البذيئة طالت حتى المُقدسات وإجتازت كل الخطوط الحمراء، إنهم يفترشون قلوبنا بثقلهم وجهلهم ويضغطون على عقولنا تبفاهاتٍ لا أعرف من أين يأتونَ بها، هُناك ثمة خلل وخلل عظيم ولكن أين بدايته وإلى أين سيؤدي الله وحده يعلم مكمن الداء وأوله وآخره إن قدوم ولده الوحيد لدُنياه هي من المباهج اليتيمة التي لاحت في أُفق حياتهِ البائسة لولاها لكانت لا تُطاق ولفقد عزيمةً أعانته على تكملة المشوار ولأنهاها مُختاراً ومنذ زمناً ليس بالقصير.

كاد يقفزُ فرحاً عندما لاح ذلك الصديق أخيراً تقدم منهُ في خجل وهمس لهُ في أُذنهِ أنهُ في حاجة ماسة لبعض المال ثمناً لدواءً ابنهِ الوحيد إنهُ يُعاني آلاماً مُبرحة كاد قلبهُ يتقطع من رؤيتهُ على هذه الحال، وعده خيرٌ وأستأذنهُ لدقائق يقضي بعض أشغاله العالقة مع نادل المقهى، إنتظره قليلاً رآهُ بعد بُرهة ينسلُ خارجاً من باب المقهى الخلفي، تتبعهُ بنظرات مُتشككة آملة، إبتلعتهُ الطريق حتى غاب تماماً في زِحاماً شديد بقي أكثر من ساعة يرقُب طريقاً ذهبت به عساها تقذفه كما إبتلعته أول مرة فتقذف في نفسه أملٌ كاد يخبو ولكنها لم

تفعل ولن تفعل إغرورقت عيناه بالدموع وتدلى رأسهُ المُتعب بين كتفيه وشوهد كامل جسدهِ النحيل ينتقض من شدة النحيب الذي حاول فاشلاً مداراته عن أعينهم الشامتة ولكنه لم يستطيع.



طرابلس 2007 ف .



الحــاج عمــران

نشأت بينهُ وبين الحاج عمران علاقة وطيدة ومتينة وإرتباط روحي كبير، وكأنهم أبناء جيل واحد لا تفصل بينهم إلا سنواتٍ قليلة، لايكاد يمُر يوماً إلا ويلتقيه يتبادل معهُ أطراف الحديث يتناول جميع مناحي الحياة، فكم تُعجبه أرائه على بساطتها يُغلفها بسخرية لاذعة يُلقيها هنا وهناك غير عابئ بأي شيء ولكن لاتخلو من كثير حكمة وكبير إبتسامة قد تتطور إلى قهقهة تعلو في بعض الأحايين إن كان الموضوع يستدعي ذلك فقط، وإلا وهذا الغالب عليه طوال الوقت يكون رصيناً متزناً في هدوء مَهيب، تطال تعليقاته المهذبة المتفهمة كافة الأمور ومصاعبها لاتخلو جُعبته المليئة وقريحته المتقدة من النكات الهادفة ولكن في إحترام شديد بعيداً عن الإسفاف والابتذال، فأشد ما يضايقه الفُحش قولاً وفعلاً ستجد منه تبرماً صارماً إن أنت تجاوزت بك الحدود.

يوقفك بأدب جم للكف والمضي في ذلك بدون أن يوجه لك ذلك صراحةً له طريقتهُ الفريدة والناجعة مع الجميع، يعرف جيداً متى يُدلي بدلوه ومتى يكون صمته عين البلاغة، مثقفاً عذب اللسان موجزاً في إتقانٍ بليغ حتى مع بليدي الفهم المستظرفين الذين لايكاد يخلومنهم مكان ولازمان، يُصيبه الضيق والضجر كلما بحث عنه ولم يجده في رُكنه الذي إعتاده في مسجدهم العتيق الذي شهد أول تعارف بينهما وميلاد صداقة إمتدت لأعوام فهو من رواده الذين لايغيبون إلا في

الشدائد والملمات، يتفائل جداً برؤيته يتمنى ﴿ قرارة نفسه ألا تُغيبهِ الأحداث والأيام.

محب للعلم والتعلُّم شديد التعلق بالمشائخ، لايفُوت درساً ولاتكتمل بدونه حلقة ذكر، إعتاد الكل حلاوة حديثه وسهولة ألفاظه فهي أقرب إلى النفس تمس شغاف القلب مباشرة لعمقها وقلتها ودلالتها الواضحة التي لاتحتاج إلى ترجمة وكثرة تفاسير فهي صادقة وأمينة أرُيد بها الإصلاح والنصح ودرء المفاسد، إنها نتاج حياة إمتدت لثمانية عقود ونيف بكُل خبرتها وحنكتها .

كم تشُدهُ الأحاديث الممتعة والمفيدة التي كانت تدور بينه وبين بعض الحاضرين تخفت تارةً وتعلو حيناً في جوٍّ من الإلتزام الجاد ترجو منفعة الناس وخدمة ورفعة الصالح العام .

واصلاً بذلك إلى قلب وعقل كل من يستمع إليه بسلاسة في غير تكلف يُفسد نهجه وديدنه فلاخير يُرجي من إطالة الكلام وتزويقه في طقوس البهرجة والسفسطة الكلامية التي في غير مكانها ومحلها.

تتلمذ على يد خيرة أساتذة ومشائخ مدينتهِ منذ أن كان يافعاً ما يفتأ يذكرهم بعظيم الخير والدعاء وكبير الإحترام والشكر الموصول .

لاتزال به قوة تمُكنه من الحضور إلى المسجد من بيتهِ مشياً على قدميه وقضاء حوائجهِ لوحدهِ وبمفردهِ ولكن في هدوءٍ حذر، فخُطاه أصابها بعض الوهن والثقل وأحنت ظهرهُ السُنون وتعاقبها، لكنها لم تستطيع ثني وكسر هامة وعزة نفس لطالما حسدهُ عليها معارفه ومحبوه، ما رآه من قساوة الأيام ليس بالشيء القليل رزتهُ باليُتم مُبكراً وضاقت به سُبل العيش كثيراً، فما أكثر الليالي التي باتها طاوياً، يتجول من رُكناً إلى آخر ومن مدينة إلى مدينة يبحث عن عملاً فلا

يجِدهُ وإن تحَصلَ عليه بالكاد يسُد الرمق، كثيرة هي ذكرياته مع الفقر والعوز والخواء وضيق ذات اليد كلما تذكرها أُغرورقت عيناه بالدموع وتقطع سيل الكلمات من فمه الذي ما عاد يحتوي على أسنان تضبط مخارج الحروف فتزيد من إرتباكها وتقلقلها وتُضفي عليها خصوصية محببة .

(سأله ذات مرة لما لا يتخذ عُكازاً يُعينه في تنقلاته التي لا تعرف الهدوء والركون؟) أجابه وابتسامة ماكرة تعلو وجههُ المُكتظ بالتجاعيد وأخاديد وشروخ جرت فيها الأيام جريان الماء في الشعاب والوديان وبنبرةٍ واثقة (أن الوقت لا يزال مُبكراً على ذلك، فما بلغ الرابعة والثمانون بعد، عندها فقط سيعمل بمشورته وتألف يده تلك العصا) بسخريته ودعابته الجادة تكون إجاباته واضحة وسريعة .

يستوقفك شيئان في الحاج عمران عِناده اللطيف وكرههُ المُستميت للمرض، وإنتقادُه الجريء والشديد لمخاطبه والظروف عامة إن لم تنل رِضاه وإستحسانه، مُتحرياً كل الصدق لاتُهيبهِ وجاهةً كاذبة نائياً بنفسه عن الرياء الزائف الخادع ولكن في بياض سريرة وحُسن نية، فلم أجد فيمن إرتبط بهم وتحلقوا حوله من أضمر له سوءً في نفسه وقلبه، بل كانت أرائه تُسعدهم وما أكثر ماجلبت معها حلولاً كانت تائهة لمشاكل إستعصت على بعضهم .

هو أكبر مجموعة معارفه وأصدقائه من رواد المسجد سناً وأقلهم منهجية تعليم، لكن وبصدق أكثرهم دراية وعلماً بالحياة وتلوناتها وتُقلباتها وأحسنهم إختياراً للجُمل والعبارات التي تكون في محلها ووقتها تماماً ناهيك عن تعليقاته القصيرة والمقتضبة والتي تُصيب مُبتغاها مباشرة فلا تدع مجالاً لكثرة كلام ولا توسعاً في التأويل.

يتعجب من طريقة نَضِمها المحسوبين على العلم وأهله ظُلماً، ويحتارُ من قوتها الشيوخ مُجيدي الكلام ومُتقني فن الحديث الذين طالما فضلوه للآذان وقدموه لإمامة الصفوف.

رُدودهُ لاتتعدى الكلمات المعدودة لكنها مليئة بالمعاني والعِبر تختصر التجارب وتلخصها في غير إخلال ولاتشويه.

ما أكثر ما أطفأت تدخُلاته الحكيمة وآرائه السديدة الصادقة نيران فتنة بين الناس وسجالاً عقيماً ومجادلات ومهاترات لاتُغني ولاتُسمن من جوع كانت تطفو على سطح حلقات الذكر والدرس في أحياناً كثيرة.

يتذكر جيداً كيف إقتحم ذات مرة على مجموعة من الشباب دائرتهم الصاخبة المستهترة على إحدى جنبات الطريق يستهزئون بالمارة في تعليقاتٍ سخيفة ساذجة وكلمات نابية رخيصة كرُخصهم المُزّ من وتفاهتهم الدائمة، صب عليهم جام غضبه ناعتاً أياهم بأقذع النعوت والصفات ((ياكمشة بسطاردية كلام فارغ وكورة وسراويل ضيقة ناصلة ومناشبة الناس... أظهر ظاهرة إنتَ وياه..يلاااا..)) مازال بهم حتى تفرقوا خائفين وجِلين، أضحكت الناس وأثلجت قلوب المارة وشفت غليلهم، لم يغفل يوماً نظافته الشخصية وحُسن مظهره وهندامه على كِبر سنه لايزال شديد التأنق في بساطة مُريحة.

كُرهه للمرض ورثه من دماء بعيدة كما حكاها ذات يوم في إقتضاب خوفاً على نفسه من العين، بقائه طريح الفِراش حبيس الجدران نادر الحدوث، ولايتذكر أن ذلك حدث كثيراً فلصيام والتصوف والزهد وعدم الإفراط في كل شيء اليد الطوليَّ في جفاف جسمه وخلوه من أمراض تورثها التُخمة، المكوث بالبيت من غير داعٍ يستدعيه يُضايقه

جداً، النوم مبكراً والإستيقاظ باكراً عادة لم يتخلى عنها مُنذ زمناً طويل، حُبه للناس والتجول بينهم لايُضاهيه شيء فهو كثير الطواف على أصدقائهِ وأحبابهِ في حوانيتهم وأماكن عملهم ولكن بقدر كي لايتسبب في تعطيل أشغالهم فهو حريص على ذلك أكثر منهم، حتى وإن ألحَ عليه أحدهم بالبقاء، فلن يُفلح معه ذلك أبداً فمشاويره كثيرة وأصدقائه كُثر وحرصه أن يكون ضيفاً خفيف الظل يمُلي عليه ذلك ويتوجبه، وهذا مازاد من شعبيته وحب الناس له، وترحيبهم الحار به في أي وقت بدون تململ ولاتطير فإطلالته القصيرة تجلب لهم الكثير من الفائدة والسعادة والمرح تطرد رتابة وقتامة إستدعتها بعض الظروف وما أكثرها هذه الأيام، إعتادوا زياراته وتمنوا من الله ألا تنقطع، لطالما إلتقاهُ يتجول بين الأزقة وحيداً فيستأذنه الإنضمام إليه في رحلته اليومية تلك مستفيداً منه ومن علاقته بالأمكنة وخبرته الزمنية الطويلة بها ينتهز كل فرصة لإثارة ذكراته وبعث مواتها عن أماكن وشوارع وأزقة وتسميات قديمة قِدم مدينتهم .

لايبخل عليه بما حفظه وعرفه وعايشه عنها وعن أهلها الطيبون في زمناً مضى وإنقضى سريعاً، إمتاز بحسنه وبهائه يتحسر عليه الحاج عمران كثيراً ويفتقده، تبتلعهم الشوارع والأزقة الضيقة تودعهم الأقواس وتستقبلهم باحاتٍ وجوامع في رحلةٍ مُشوقة قد تطول قليلاً تثلج الصدر وتُرضى فضول المعرفة لتفاصيل هذه المدينة التي كانت رائعة ونظيفة .

رأفةً به وبصحته من طول التجوال يدعوه لإحتساء كوباً من الشاي الدافئ في أحد مقاهيها المتناثرة في كل مكان بغير نظامٍ ولا تنسيق فالعبث طال كل شيء بيده الخربة المُتسللة عن قصداً وغير قصد في جعجعةً من الفوضى والإهمال.

يشكُرهُ الحاج عمران ويدعو له بالتوفيق حاثاً إياه ومحرضاً له على الاستزادة والإهتمام.

من أجل ذلك وحده يحضىَ لديهِ بحظوةٌ وقبول في لهجة فيها من القوة والتماسك الكثير بعيداً عن ميوعة طالت أغلب ألسنة أهل هذه المدينة التي ضاقت بهم وبجهلهم وثرثرتهم ولو كان الأمر بيدها لقذفت بهم إلى أعماق بحرها العريض فترتاح ويرتاحوا من سذاجة غايةٍ في السوء صنعوها بأيديهم وعاشوها مختارين.

أخبره ذات مساء أن موعد رحيله بات قريباً وأنه صار يراه كثيراً فزيارت من أحبهم وأقبرهم بيديه تتالت عليه في منامه وما ذلك إلا إشارة إلى دنو الأجل.

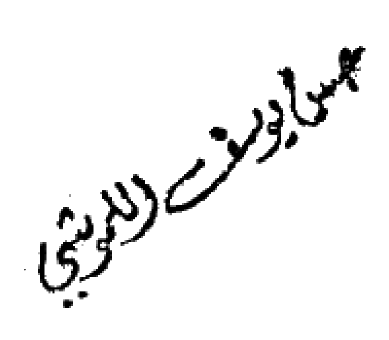
لابد له من الاستعداد وتلبية النداء الخفي الذي يسمعه بإستمرار .

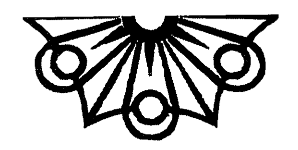
قالها وشروداً عميقاً سافر به عبر الزمن ربما زار ماضياً جميلاً أحبه ولكن أتُخيب الأقدار أمال والده وأمنيته فلقد تمنى له عُمران يوم أن سماه بهذا الأسم.

ثم إستطرد قائلاً في سخريتهُ المعهودة

((ولكنني لم أمُنح إلا عمراً واحداً ولم أفُز إلا بفرصة يتيمة))

طرابلس 2009ف





ذات صباح

إحساس كريه بالضيق إكتنفه فجأة وعلى غفلة، شعورٌ مرير كأنهُ سياطٌ لاهبة حاقدة تجلدهُ تُذيقه ألوان العذاب، إنه غريبٌ وقاسٍ لم يعهده من قبل، هو متفاقم هذه المرة، تطاول وتنامي حتى صار كالجبل، تسلق كامل روحه المُرَهَقة وتشعبت به حتى صارت ثقيلة ممِلة، شيئاً لمّ يعرفهُ لم يتبينه يخنقه بقسوة يجرهُ من غير رأفة ولا رحمة، تتزاحم أفكاراً سوداء في نفسه تعتمل كأنها قطع ليلٍ شديد السواد، غابت فيه النجوم وتواري فيه القمر خوفاً من شظايا ربما تَطالهُ، يمُزق ثوابته يُبعّثر قوته على التحمل، ينثُرها صغيرة وقزمة تتهاوى ضعيفة مستسلمة تحت قدميه الخشنتين، يدوسها بتلذذهِ السادي المُقزز.

مُنذ ساعات الصباح الأولى انتابهُ شعوراً بالوحدة بالضجر وبركانٌ فائرٌ من الغيظ، لايعرف كُنهه ولا حتى سبُبهُ، حوافرٌ مقيتة قاسية تدوسه برعب، تطحن قلبه تجعله معطوباً بذل وقهر عظيمين، ظلاً قاتماً ثقيلاً يتتبعهُ يشعر به بلفحاته اللاهبة العفنة كأنها أنفاس نتنة لوحشٍ أسطوري، يُلاحقه يُحصي عليه خطواتِه ودقات قلبه، يُظله بهالته الضخمة القبيحة، لايترُك منفذاً للنور الذي يحتاجهُ ويعتاش منهُ، يدهُ القذرة المسودة تعصرُه وتهزهُ بقوة،كأنها تُفرغه من روحه بحقد، إستكثرت عليه حياة تافهة وقصيرة فجاءت بلونها الداكن تنفث فيها سمومها الغادرة. لم تهتدي خطاه إلى طريقها ولم تتصالح مع أية وجهة، إفتكت منه تركيزه، فما عاد يشعر بشيء حتى طريقه أضاعتها

منه فوقف متسمراً في مكانه كفريسة شلتها قوة وسرعة وحقد وكراهية صياد مُتعطش جائع غافلها وفتك بها.

اجتاحته في هذا الصباح عاصفة من الكآبة اللعينة، هبت على أشرعته البالية المهترئة، مزقتها وقذفت بمركبه المُرهق المُنهك في أمواج ظلماتها المتلاطم.

ثقيلة وشبه مشلولة تقودهُ قدماه عبر مسارب لم يعتادها أو

هكذا تراءى له، يصطدم بأُناس لم يعرفهم من قبل، لم يرى وجوههم الوقحة أجسادهم سريعة الحركة تُرهقه تزيد من معاناته، خطواتهم العجولة الثابتة الواثقة تسخرُ منه ومن خُطاه الواهنة المُترددة، تُزيحهُ الأيادي من طريقها بجفاء ترمُقه أعينهم الشريرة نظرات الإستغراب منه ومن حاله ومنظره البائس، شرودهِ الغريب يُربكهم... يُعرقل تحركهم... يحد من تسرعهم، وكأن شيئاً غريباً وخطراً مهولاً سيحدُق بالدنيا إن هم أبطأوا ولو قليلاً، لمَ هذا التجهم والعبوس الذي يلاقونه به، هذا العداء الذي يراه في وجوههم وتقاطيب جباههم المُكشرة، هي مرارة واقعه البائس القاسي انعكست على كل شيء من حوله، فهيأتها صوراً غاضبة وقحة وفجة يراها حيثما استدار وتوجه – تلطمه بصفاقة وازدراء.

لكن بؤسه رفيقاً دائماً له لم يعرف أنه غاب أو حتى تأخر عن موعده، دائم الحضور يُطل برأسه الكبير القذر في دُنياه ولايغيب على الإطلاق، لقد إعتاده وأعتاد عذابه المقيم.

لا .. لا ..فكل ذلك ليس بجديد، إنه مُغاير تماماً هذه المرة لم يختبره من قبل، شيئاً فاق كل شيء ... فاق حتى قُدرته العجيبة تلك على التحمل التي عُرف بها بين زملاء عمله.

إنهم مزيج عجيب من البشر يبذل جُهداً عظيماً للتوافق معهم، مجاراتهم تتطلب قوة رهيبة من الجلد والصبر واللامُبالاة، أصدقائه المُخلصون من خارج دائرتهم، إنتقاهم بعناية بالغَ فيها.

لاح في الأفق القريب البحر ببهائه وحُسنه كحصيرٍ أزرق داكن الزرقة مفروشاً على امتداد البصر تُزينه تموجاته البيضاء اللامعة ببريق يسحرُ الألباب قبل الأنظار، يبعث في النفس راحةً لطيفة تسري في جسده المُرهق تطرد روتيناً ممُلاً وتبعث فيه حياةً كادت تلفظُ أنفاسَهَا الأخيرة قبل قليل، أخذت دمائه في التدفق رويداً رويداً.

إتكأ على ذلك الحائط الإسمنتي المُحاذي بإمتدادُه الطويل، يمُعن التحديق بهذه الزِرقة الواسعة يتشربها إلى أعماقه علها تُطفئ نيرانٌ غاضبة إشتعلت فيه عاني كثيراً من زفيرها الحار المؤلم.

تقدم بخطىٍ ذاهلة متثاقلة في رتابة وخمول عساهُ يتحرر من ضيقه وضجره الصباحي المُباغت.

لايرغب بعمل أي شيء سوى التسكع، حتى عمله لم يذهب إليه، فراغٌ هائل يلتهمُهُ يُجبره على المكوث بعيداً، فليس هناك سوى الثرثرة وسذاجة بلهاء وإضاعة الوقت.

كانت نفسه تفيض بمعاني جياشة تتدفق بين جنباته تحُاول متطاولة كرؤوس الأفاعي مانحة أياه قُدرة رهيبة لانهائية على البوح بشجونه وتفريغ كُربهُ إن إستطاع وسمحت له بذلك.

ولكن من يسمعه..؟ من ينصت لعذاباته..؟ وليس فيهم من يفهمه. من إصطلى بناراً حامية مثل ناره، أبداً لن يجد فيهم عوناً، حتى وإن إلتمسه منهم، فهم مثل كل من عرفهم يضيقون ويتذمرون ولم تعُد صدورهم رحبة، لا يريدون من يشدهم إلى الخلف إلى بوتقة

حاولوا الهروب منها بكل ما أوتوا من قوة سيصمون آذانهم عن عذابات جاهدوا طويلاً تناسيها، مثل كل مرة عندما يُكفر بكل شيء وتضيق به الدنيا على رحابتها، يهرع إليه مسرعاً مستنجداً يبثهُ شكواه.. لواعج كوامنه.

لم يخذُل أحداً منذ أن وجد، هاهُنا يأتونه بأحزانهم يبتلعها ويطفئ لهيبٌ إصطلاهم كثيراً .

لن يرجع إلى بيته، لم يشعر برغبة في ذلك، كره فراشه وتمدده عليه يبُحلق في السقف بعينين حائرتين تائهتين، سكونه المؤلم يزيد من إتساع جراحه النازفة، فيه فراغ رهيب ووحدة يستشعرها بين جنباته الصماء الباردة، لم يشعُر بالجوع، أشياء غريبة حدثت له هذا الصباح، إنقباضه الغريب المفاجئ يؤلمه.. يُعذبه.. يسكن أحشائه.. يعتصرها بفظاعة وكره ومكر، أنسته حتى جوعه الملحاح.

إنه يخاف كل شيء .. الضجيج والهدوء وأموراً تتهادي أمام ناظريه غير واضحة الملامح غريبة كفرابة توتره وضجره الذي تركبهُ على غفلة. يهرب منهم ومن ثرثرة فاقت تخيله، لايرغبُ برؤية أحد.. أصدقاءه جيرانه .. وكل الناس.

يُريد أن يسبح في بحور الوحدة التي تؤنسه كثيراً مع نسائم صديقه هذا البحر يعشقهُ.. يعرف هو أنه يُحبه.. يحنو عليه، ففضائله ولطائفه لاتُعد ولا تحُصى،كم مسح بيده الرقيقة الحانية أنهاراً من الحُزن والهم كانت تجري في نفسه المتعبة، تحفرُ أخاديد... وتُخلف آثاراً عميقة تُشوه كل شيء بداخله.

لاشيء يُجبره على العودة إلى تلك الحيطان الخرساء إلى موات ميت سيبقى وسيتجول حتى تملهُ الشوارع والأزقة وتتعب ساقاه وتنشد

راحة لا تطولها .. فقد تعلم من دُنياه في مدرستها القاسية أن أفراحهُ وضحكاته لاتدوم حتى وإن ولدت تُولد خرساء مشوهة تجُرجر ورائها عذابات وتعاسات تتشح سواداً ولاتترُك للسعادة فُسحة أمل تُطل منها وإن كانت خجلى.

هديره المزمجر يجد فيه سلوى كبيرة وكأنه صدى لهديراً غاضباً يعترم في نفسه يركبُ أمواجاً وزفراتاً حارة تتقادفها جنباته المضطربة.

ماردأ مهولاً من الألم يعتصره بقوة، كان يرتدي آلاف الأقنعة المُخيفة إنه أقوى حتى من أن يترك فُرصة الإنتباه والإلتفات، لم يمنحهُ وقتاً للإفلات، لا يتذكر أنه أفلح بالفرار يوماً، دائماً ما كان فريسةً سهلة لكل الأحزان وهدفاً جيداً لكل مأساة وصيداً ثميناً للمصائب الحُبلى بالمنغصات من كل لون، خاصمته وقاطعت حياته الأفراح، هجرته السعادة مُبكراً، لم يعرف من أقبرها بيديه بداخله، لِمَ دفنوها فيه باكراً..؟

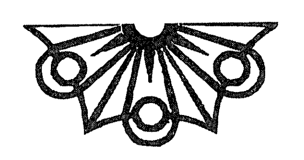
أهكذا تشاء الصدف..؟ أبهذه الوتيرة تسير الأقدار؟..

أتعبه التسكع وطول التجول، جسده الواهن ما عاد قادراً على التحمل فكلُ جزءاً فيه يؤلمه، أقفل يجرُ قدميه التعبتين المُرهقتين عائداً إلى بيته التعس الكئيب، تجول وحيداً مُنقبضاً بين حُجراته الصامتة الفارغة كأنها قبوراً فاغرةً أفواهها، تطبق على من يُقذف به إليه وتبتلعهُ.

جال بناظريه على الفوضى العارمة، ما أتعسه وأتعس حياتهُ، لِمَ يحدّث معهُ كل هذا؟ لِمَ كل هذه الركلات واللكمات المؤلمة،كُل عضة من عضاتها تترُك فيه وفي قلبه النازف الباكي تشوهات، إرتمى على فراشه في غير رغبة، حاول أن يُغري قوى النوم المتمنعة، ترجاها من

قلبه الأطباق على جفونه المتورمة علها تُريحه من وساوسه من الآمه ولكنها لم تُفلح.. فلقد كانت أضعف من أن تتجر مثل هذه المهمة الصعبة.

إلهي لامزيد من المصائب فلديًّا منها مايكفيني.. فقط لو تكرمت عليا ببعض الراحة فهذا ما أحتاجه... وبشدة.



شيخ الحي

في قمة إنفعاله وذروة تحمسه تخرُج الكلمات من فمه المُربد، المُزيد برغوة بيضاء تحيُط زوايا فمه الواسع الضيق تحمل أخطاءً نحوية ولغوية تذهب بها بعيداً عن الغرض الذي أرُيد لها وتحيُلها معاني معكوسة تبعث على الحيرة والشك، تكون من الوضوح بمكان لدرجة لا تُخطئها حتى آذان الصبية اليافعين والجاهلين بأبسط قواعد اللغة، جموع المُصلين الذين تجشموا عناء المجيء إلى مسجدهم الصغير هذا لا مفرلهم من ذلك فهو الأقرب إلى بيوتهم الوحيد في حيهم الصغير المُزدحم.

لم تجُدي معه التلميحات ولاوشوشات بعضهم المستاءة فتطور التلميح إلي تصريح ولكن في حدود ضيقة بعيداً عن آذان الناس وأعينهم حفظاً له ولمكانته بينهم، صمَ أُذنيه عن توسلاتهم وتنبيهاتهم وأمعن في تجاهلهم وإزدرائهم ولم تُفضي كل تحركاتهم لأية نتيجة انتظروها وترقبوها طويلاً، إستهجن وأنكر عليهم ما أعتبره تطاولاً أخذ يطاله ويحط من وجاهته على الملأ ويزاحمونه عليها كُلما صعد المِنبر يكتنفهُ شعوراً بالمرارة وخيبة الأمل لم يستطع إخفاء ضيقهِ وتوتره وتبرمه من العيون الفاحصة المشككة ومن تأفُفات صدورهم الحرجة كأن صعوده للدَرَجات تتسلق نبضات قلوبهم وتدوسها بقوة يحتقن وجهه بالدماء وتنتفخ أوداجهُ ويبدأ أول كلامه غَاضَباً مُزمجراً كارهاً.

سرعان ماضاقوا به وبرتابة خُطبه وتكرارها في كل جمعة خاصة

وأن دائرة أخطائهِ أخذت ﭬ الإتساع والشيوع حتى مع أبسط الجُمل وأوضح الآيات والأحاديث.

لم يعودوا يؤثرون البوح بضيقهم ﭬ سريةٍ وخجل وسترة بل تجاوزه إلى المجاهرة والمُجابهة كُلما سنحت لهم الفرص بذلك وأتت المناسبة على ما يشتهون، لقد ملت أنفسهم من ركاكة لُغتهِ البائنة المُمطة ورفضتها عقولهم المُتعطشة للتعلم، كل ذلك وكأنهم يُخاطبون ميتاً فلا حياة لمن تنادي.

استمر على عادته الأسبوعية الثقيلة وكأنهُ يُناكفهم ويتحداهم كما تحدوا زعامتهِ ومكانتهِ ومسوها بألسنِتهم مُعيبين.

نصحهُ أهل الخير المسالمين المُحبين وحاولوا رآب الصدع الذي تنامي وإستفحل بينهم وتخلل علاقةً يليقُ بها أن تكون طيبة على الدوام ولكن دون جدوىّ، ربما هذا كل ما ﭬ جُعبته ولايملِك سواه كغيره الكثيرين فلمَ يُحملونه مالا يستطيع، عليهم تجاوزه ومخاطبة المسؤلين، ولكن أين هُم...؟ فكلُ شيء يسير بالمقلوب.

ضربوا عليه حصاراً من التجاهُل واللامُبالاة وخَفتّ من حولهِ جوقة المُتحولقين بهِ عقِبَ إنتهاء كُل صلاة، قليلون هم من أبقوا على هذه العادة ممن يزالون يكِنون لهُ بعض المودة التي ولدت من رحِم طول العِشرة والإختلاط لسنواتٍ عدة وقلةٍ من المرُائين أيضاً، علينا ألا نغفلهم أبداً فهم دائموا الحضور، سوراً من العداء الجماعي أحاط به يتعاظم ويتعالي شيئاً فشيئاً أينما توجه بعينيه يراهُ ساكناً فيهم يحاول بعضهم إخفائهِ ويُظهره آخرون ﭬ إنتقام، حتى من تورطه الصدفة قبالته فجأة يُشيح بوجهه عنه ويُهرول مُغادراً كي لا يضطر إلى الاحتكاك به ومصافحتهِ، لقد فقدوا التواصل معه وتعمدوا إجتنابه

وتحاشيه، كُرههم له ما عاد خافياً على أحد توجسهُ منهم وشكوكهِ فيهم تعاظمت في رأسه وفي نفسهِ، خافهم على مكانتهِ ومُزاحمتهم له عليها.

((زعمه كان إتكلموا مكتب الأوقاف بالك إيغيروه ويردولنا الشيخ عبدالله)) يقول ذلك أحد المُسنين ويده اليُسري تُسند ظهرهُ المعُوج واليُمني على حائط الجامع يتكأُ بها تُعينه على الوقوف في إستفسارٍ مُتكرر عساه يجد جديداً هذه المرة من جمهرة تجمهرت أمام المسجد تتدارس نفس موضوعهم القديم المتجدد كُل أسبوع، يردُ عليه رجلاً خمسيني ضخم الجُثة وعلامات الضيق بادية على وجهه الأسمر المعرِق مُلوحاً بيدهِ في الهواء الرطب الخانق في ظهيرة جمعتهم تلك .

((إيح شيك أوقاف... خمس مرات إنخاطبوا فيهم وفيك ياوادي هاذيم شورهم قاصدينها ياحاج))

((سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله)) يُتمتم بها ذلك المُسن في غير رضى، يُغادرهم وساقاه لاتكادان تحمِلانهُ في تمايل واضح يشي يضعفه وعجزه ودنو أجله.

((يا راجل كل جمعة نفس الموضوع نفس الكلام، حتى إدعاه عليهود بلا نتيجة، هوه يدعي من هنا وهما إيطبسوا في الناس من غادي غير كان يدعي على حفرة من هالحفر اللي عبن الطرق بالك يردمها، ولا على طوبوا إمية إمكسر إيتير ليه شهر بالك يصلح، ولا ياسيدي حتى على مسئول خانب إينطروه، إيحولوه بس مش يحبسوه حرام مرات عنده إعويلة، إيفكنا منه ايرده سواق تاكسي أوكان طيرهله بوليتاي باش يشعف))

يقول ذلك شاباً طويل ونحيف جداً صاحب وجه حاد ودقيق يجلس على حافة إسمنتية بمُحاذاة الطريق ينبُش التُراب بعودٍ في يده، وقهقهةً تعلو

وتيرتها شيئاً فشيأً عساهُ يُخفف علي ذلك الجمع قليلاً من تبرُمهم وغيظهم.

يقول آخر مؤكداً على كلام صديقه متوتراً في غير تبسم

((من نهار جانا وإحني قاعدين في الوضوء ونواقضه وكيف إنحطوا أيدينا ليمنة على ليسرة ولا العكس، ترفع رأسك ولا تشبح تحت كرعيك، ندعو جماعة ولا كل واحد على دينه ومعجون الأسنان في نهار رمضان إيفطر ولالا، معقولة هذي خطبة جمعة ولاهيدكة))

ويستطرد في غضب عارم وقد زادت حدة صوته الجهوري من بروز عروق رقبتهِ المُنتفخة المُحمرة.

((بالله العلي العظيم ديروله حل في هالأسبوع ولاراهو الخطرة الجاية نمنعوه بالسيف، ساد عاد من روايقه ودوته لمعاودة وكلامه لمكسر)) سكت بُرهة ثم أضاف مُستغلاً صمت الحضور وتصنتهم.

((وهووه أصلاً مش من المنطقة إيعينوه في منطقته ولايينوله جامع إيريغن ويحارف فيه إبروحه؟))

وافقه بعضهم فيما قال وتعالت الأصوات واختلطت الكلمات الغاضبة بالمُتسامحة وسادَ الهرج والمرج هُنيهة من الوقت، تفرقوا على إثر إنهاء أحدهم إقفال أبواب المسجد وإغلاق نوافذه بإحكام .

ساروا في مسارب وممرات ضيقة يحتمون بمساحات قصيرة من ظلال هزيلة وفرتها جُدران بيوت مُتهالكة وأصواتهم وهمهماتهم العالية آخذة في التلاشي تدريجياً وببطء حتى إختفت تماماً وما عادت تُسمع وإكتنف الحي سكونٌ ميت وسادهُ هدوءٌ غريب مثل كُلِ مرةَ .

مــوتُ قــلـب

على الرغم من مرور سنوات عِدةَ على هذه الحادثة المؤلمة والبشعة، لاتزالُ تعتريهِ الأحزانُ ويعتصِر قلبهُ الضعيف الألم،كُلما مرت صور وقائعِهُا في خياله تشدهُ وتهزهُ بعظيمَ الأسىَ وكأنهَا حدثت اليوم قبل البارحة فهو لا يفتأ يستحضر كُل تفاصيلها القبيحة من ذاكرتهِ التي رفضت حتى مُجرد نسيانها، وباءت كُل مُحاولات تناسيها بالفشل الذريع، سيطرت عليه وعلى عقله وكُل جوارحهِ بثقلها المرير، ولونت حياتهُ بلونها الأسود القاتم وأحالتها إلى جحيمٍ لايُطاق، وأفسدت بطعمها المرُ المُريع دُنياه، وكادت أن تُفقدهُ عقله وإتزان صوابهِ لولا بقيةٍ باقية من قناعةٍ في قرارة نفسهِ بأن لا ذنب له ولا يد في ذلك فهو كغيرهُ من الناس لم يكُن على علمٍ ولا داريةً بها إلا بعد أن تكشفت خيوطها على الملأ وانقشعت سُحب الغموض التي كانت تلفُها، وتجلت الحقيقة الكاملة والواضحة عن جريمة نكراء تهزُ مشاعر العُتاة من السفاحين، وتهدُ الجبال هداً على صلابتها ومتانتها وتتبخر لها البحار من حرارتها، فهي فاقت كُل تصور وتوقع، يعجز قلبهُ وعقلهُ على إستيعابها، دائماً ما كان يسأل نفسه بإلحاح كيف تسنى لها أن تفعل ذلك؟

وهي العذبة الرقيقة... هذا ما يخدعك به مظهرها للوهلة الأولى على أقل تقدير، كغيرها من الفتيات تبدو هادئة وادعة وإبتسامةً دائمة الإرتسام على وجهها الحسن، بل فاقت مُعظم من عرفهن وصاد فهن في مشوار حياته جمالاً وتعلوهن حلاوة وجاذبية مظهر، إنها أكثرهُنَ

إغراءٍ لما تتمتع به من قوامٍ فارع ممُتلئ في إعتدال تحُسد عليه لا يُجاريها ويمُاثلها في ذلكَ إلا القلائل ففي سنوات علاقتهُ القليلة بها تخللتها فترات إنقطاع طويلة ولقاءات معدودة تُعد وتحُصى، لم يلحظ عليها أي شيء ينمُ عن قسوة أو غرابة تصرف وأبداً لم يبدُر منها سلوكاً يفضح ما هي مقبلة على فعله، بل على العكس تماماً من ذلك لطالما أدهشتهُ بذاكرةٍ لاثقوب بها، فما أكثر ما ذكرتهُ بأحاديث دارت بينهما في مواعيدهما المتباعدة وطرائف ومغامرات حدثت لهما أو منهما هنا وهناك نسي كثيراً منها أو بعضها.

غاية ما أعجبه فيها اتساعٍ لانهاية له في عينها واكتنازٍ يلف جسدها البظ ويُكوره في تناسقٍ يخطُف الألباب، وهدوءً مُريح ومحبب يتخلل صوتها لكأنهُ خرير ماءٍ عذب ينسابُ في رقةٍ من نافورةٍ صغيرة في رُكناً منسيا في غفلة من الضوضاء، يصعُب على من تشنفت به أذُناه نسيانهُ بسهولة، ناهيك عن إبتسامة واثقة وذكية تكشف عن أسنانٍ في بياض الثلج وشفتان ممتلئتان يرفعان من ضغط كل شيئاً فيك كُلما وقعا ضحية لعظة من عظات ذلك الصف اللولي الناصع، إنها فعلاً ساحرة وشهية، ولكن أيُعقل أن تحوز جمالاً آخاذاً وتكتسب قسوة مُفرطة في ذات الوقت؟

أليس في ذلك تنافُر وتناقض صارخ، فهي من دبر وخطط ونفذ وأصر على المُضي فيها إلى النهاية، ضاربة عرض الحائط بكل شيء، يتذكر جيداً ذلك الإتصال المشئوم في ظهيرة أحد الأيام الحارة بعد فترة غياب لم يلتقيها ولم يسمع صوتها طالت قليلاً، أدهشهُ جداً ماسمعه منها وجرأتها في مكاشفته بمثل هكذا موضوع خطير، وتعجب كبير العجب كيف أنه تبادر إلى ذهنها وطاف بخُلدها إشراكهُ في جريمتها المقيتة وفعلتها الملعونة، حتى وإن كانت من باب الإستشارة

وطلب المعونة في الرأي مُعتمدة على إستلطافٍ غير واضح المعالم كان قد نما بينهما مؤخراً، إهتاج وإستشاط غضباً من طلبها القبيح الوقح الغير عاقل، أعياه نُصحها مُبيناً لها أن عملها هذا كونهُ مُحرماً وفوق ذلك فإنه خطير جداً وعليها فوراً لو قبلت مشورته أن تقطع كل علاقة لها بهذه الصديقة التي هبت لنجدتها وأن تتركها تتدبر أمورها الشائكة والمُشينة بعيداً عنها وعنه فعملية إجهاض امرأة حامل سفاحاً ليست بالأمر السهل ديناً ودُنيا لا يعرف طبيباً ولا تمريضاً ولا حتى دواءً يُسهل على صديقتها المزعومة عملية الإسقاط كما رغبت منه حتى وإن كان يعرف فلن يدلها ويساعدها عليه مهما حاولت معه وتفننت في ذلك.

رجاها بصدق وفي حرارة إنتبهت لها أن لا تُعاود فتح هذا الموضوع وما في شاكلته معه إلا إذا كانت راغبة في قطع علاقتها معه مُقطعة الأوصال أصلاً، سمعته في ضيق وضجر واضحين حاولت تهدئته والاعتذار منه بلُطف مُصطنع كي لا يتفاقم غضبه فتخسر بذلك سنداً مُرتقباً إدخرتهُ لمثل هذا الطارئ، جاهد من جانبه في إنهاء الحديث الغريب وتوديعها على رغبة صادقة منه التزامها بكُل حرفٍ قالهُ لها، مرت أيام لم تحمل شيئاً ذي بال في تهاتُفهما القليل فهي ما عادت تُزعجه بخصوص ضائقتها تلك وهو لم يرد نبش ماضٍ قريب مُزعج كاتماً في أعماق نفسه فضولاً عارماً لمعرفة ما آلت إليه نهاية مأساة رفيقتها الحميمة كما أدعت منتظراً أن تتطوع من تلقاء نفسها إتمام تفاصيل هذا المسلسل التراجيدي ولكنها لم تفعل فكُل ما فعلتهُ أنها خصته بلقاء حميمي طال إنتظارهُ، حاول إستدراجها في صفوة هذا التلاقي ولكنها أمعنت في هروب من يرجو النجاة بكذبته أخبرته أنها عملت بسديد رأيه فأنهت علاقة كادت تورطها وفضلت الإنزواء

بنفسها وبسمعتها بعيداً عن الشُبهات، إكتفى بما سمعه منها وأقلع تماماً عن مُعاودة سؤالها فلقد رأى أن لا فائدة تُرجى من ذلك بعد تصميمها مُعاقبته بصمتها وسكوتها على تراخيه في إعانتها وإنتشالها من وحلتها، حتى تتجنب مشاكلاً هي في غِنى عنها لا يعلم إلا الله وحده مدى فداحتها تمناها جادة وصادقة وفاعلة لما قالت وسار كلٌّ في طريقه فلا شيء أقصر من العُمر ولاشيء أسرع من الأيام، لكن لم يصمُد ولم يدم طويلاً فما أن مرت مدة قصيرة من الزمن على ذلك المساء المُريح والذي جاهدت فيه بكل قواها ألا تستحضر ما من شأنه تعكير صفوه الوردي خاصة وأنه أتى بعد طول إشتياقٍ وترقب تبين لاحقاً أنه كان طُعماً يقتل أي تمنع في مهده وحبلاً به غِلظة يخنق أي إعتراض في أوله، وبحذر القطط ودهاء الثعالب ترجتهُ بقليل من الحياء وكثيراً من الإستجداء بصوت مُتشنج به بحة وغصة على غير ما أعتادهُ منها ومن تدفق شذوها الرقراق أن يبحث لها عن شيخاً يكون أهل ثقة وصلاح وبركة ومقدرة على شفاء وتخليص من وقعوا ويقعون فريسةً سهلة بين براثن ذلك الجان الشيطان، فلقد كانت شقيقتها تُعاني منه أشد المُعاناة كما زعمت، ألحت عليه أن لا يُهمل طلبها ذاك وأن يُسرع فيه ولا يُبطئ فمع كل ساعة تسوء الأمور وتتعقد، لم يدُاخله إرتياب على الرغم من دائرة الشك التي أخذت تتسع وتكبر بداخله إتجاهها، كثيراً من الناس يُعانون مثل مُعاناتهم وأزيد، فمثل هذه الأمور كثيرة الحدوث ولا جديد ولا غرابة في ذلك الكل عُرضة لمثل هذا المُصاب.

لم تطُل حيرته وبحثه طويلاً فهو على علاقة وطيدة ومعرفة متينة بشيخاً صالحاً ورع لا يتردد أبداً في مد يد العون لمثل هؤلاء والتخفيف من عذاباتهم إنه صاحِبُ باعٍ طويل في هذا المضمار وعدو لدود للجان وأعوانه لا يألوا في محاربتهم جُهداً ولا يرجوا من وراء ذلك جزاءً إنما جزائهُ على الله.

أخبره فوافق من لخطته شريطة تواجد أحد المحارم المقُربين، أفهمها في تروٍ شرط الفقي وإصراره عليه في إلحاح – فحضور أحد إخوتها الذكور البالغين لمثل هذه الجلسة العلاجية المباركة سيُعينه على إتمام مُهمتهُ بنجاح كما أرادها وتمناها ومن غير ذلك ستطير البركة عاليا ولن تهبط بساحتهم إن هم خالفوا تعاليمه ولربما لحق بهم الأذى من ضيفهم الجديد الذي حل بينهم في غير ترحاب وبدون إستئذان.

في يومهم الموعود والذي اختاروه ليتوافق مع ظروفهم بعناية وبحضورهم جميعاً كما أمر ورغب وعلى رأسهم تلك العجوز المُتصابية هذه الأُم التي جفَ قلبها من كُل مشاعر الأمومة وانطفأت نفسها لتغرق في سواداً وظُلمة بعد تسرب أنوار الرحمة والعطف منها، الأمومة شرفاً لا يرتقى إليه أمثالها.

حاول الشيخ إقناعهم بتعقل بعد أن فاجأوه بأن أُختهم المريضة في حالة إعياء وهياج شديدين وأنها لاترغب في رؤية أي أحدٍ على الإطلاق وأنهم بدورهم لا يحبذون في وصول صوت عويلها إلى الجيران الذين سيلوكونهم بألسنة عفِنةَ لا ترحم، لم تجد كلماته طريقاً إلى أذانهم الصماء وتأكيده لهم بأن ذلك الأمر طبيعي ويتوقعه لمثل من هُم في حالتها وأيضاً فُرصة سانحة ولا تُفوت لتصيده وتقييده وتلقينهُ الدرس الذي لن ينساه وحمله على مُغادرة جسدها مُكرهاً وهكذا تكون قد حلت السكينة والطمأنينة بهم وبمنزلهم، إقناع من بيت في نفسه شراً وأعد لذلك عُدته أمرٌ عسير، وتحت إلحاحات عجوزهم المتواصلة والمرُهقة فمثلهُ لن يعدُم الوسيلة للعلاج والمساعدة حتى ولوكانت عن بُعد وعبر الأثير كما قالت وزعمت،لم يجد الشيخ مناصاً ولا فكاكاً فأذعن غير راضٍ لما طلبوه، فلو مكنوه من إلقاء نظرة على مريضتهُ لكان له بالغ الأثر في سرعة تعافيها فطول مُكوثه بها وإستباحته

لجسدها سيزيد من فَرص فوزه عليهم وتتعاظم قدرتُه وتشتد قبضتُه على خِناقها ولكنهم استماتوا في منعه وتعللوا بشتى العلل الواهية والأعذار الكاذبة المغشوشة.

حدث كُل ذلك وهي جالسة لا تحرُك ساكناً لم تتبس ببنت شفة اللهم إلا بضع كلمات حملت إتفاقاً سريعاً لما حاولت أمُها فرضه بثرثرتها، تسمع وترى في شرودٍ غريب وإرتباك حاولت إخفائه أو التقليل منه ولكنها لم تُفلح فبدا واضحاً لا تحطُئهُ العين .

غادرهم بعد أن أوصاهم بدَهنِها بزيت وماء هذه الرُقية كُل صباح وكُل مساء، في حيلةٍ ماكرة وجهلاً يسكُن مثل هـؤلاء ولا يغادرهم وبسذاجة المعتوهين وخبث الخبثاء الذين لا يتورعون عن فعل أي شيء ظناً منهم أن ذلك يُساعد إبنتهم ويخفف عنها ألام الولادة التي فاجأتها على حين غرةٍ، فما كانت تلك الصديقة سابقاً إلا أخُتاً وإبنة وما كان للجان دخلاً بتورم بطنها وإنتفاخها لم يمسسهُا وما أقترب منها لامن بعيد ولا من قريب بتاتاً، كان برئياً من تُهمة قذفوه بها ولم يسكنها بل سكن أحشائها إبن زني نغص عليهم حياتهم بعد فرار غريمهم الفاعل الذي لم يعرفوا عنه شيئاً فقد كان شديد التخفي والحِرص كما كانوا شديدو التفريط واللامُبالاة، وجد إجابة شافية وتَكشفَ سر منعهم الشيخ رؤيتها فقد كانت تُعاني مخاضاً وأثار تدخلٌ غير مؤهل ساءت على إثره صحتها جداً.

تخلصوا من الطفل البريء ذاك الضعيف المسكين الذي لايملك حولاً ولاقوة، فما وجدت صرخاته الواهنة آذاناً تسمع ولا قلوباً تشفع فقد غلفتها القسوة وأصمتها الوحشية، وفي ليلهم البهيم الذي غابت فيه الرحمة والرأفة حملتها بيديها القذرتين وألقتهُ بمُحاذاة إحدى

المزارع البعيدة والمهجورة في لفافة سوداء مُلطخة بماءٍ ودماء وأشياء وأقفلت مسرعة في ظنها أنها أتمت أخر فصول جريمتها البشعة الرهيبة وأسدلت ستارة غليظة على أخر مشاهدها المروعة .

يا إلهي يا إلاه الرحمة لِمَ نزعتها من قلوبهم ففعلوا ما فعلوا بهذا الجنين الوديع لقد قاسى في وحشته تِلك البرد والجوع حتى فاضت روحه إليك تطلب عدلاً وقصاصاً سريعين.

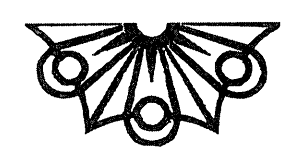
دماء هذا البريء الموؤد المسلوبة روحهِ الملائكية غدراً تحلُّل عليهم لعنةً وإنتقاماً، يُسخر الله لهُ أحد المارة يلتقطهُ ويسلمهُ من فورهِ للشرطة والتي بدورها تعمم على كافة المُستشفيات وتحُيطهم عِلماً بأمرهِ وظروف العثور عليه وماهي إلا سويعات الصباح الأولى حتى تهرع فزِعة هي ومن شاركوها وتلطخت أياديهم بالدماء لتُسعف شقيقتها التي قاست وعانت من ولادة عسيرة زادت من مُعاناتها أيادي مُجرمة عابثة، ما أن وصلت إلى المستشفى حتى لفظت أنفاسها الأخيرة لتلقى مصير إبنها البريء وتلحق به مُسرعة، حاولوا الهروب والتملص ولكن القدر بالمرصاد فروحهِ ودمائه ظللتهم وغشيت عيونهم وأعمت بصيرتهم وأربكت ألسنتهم فتخبطوا يمنةً ويسرةً ولكن بدون طائل فوقعوا بائسين وخروا مستسلمين، إقتادوهم إلى مكانٍ يليقُ بهم وبأمثالهم مرت عشرة أيام كان أثناءها يتسقط أخبارها من بعيد مخافة أن تأتي على ذكرهِ وشيخهِ الغافل عن كل ما دار ويدور خرجت على إثرها تلك العجوز الشمطاء وإبنها متبلد الإحساس والمشاعر دفين الرجولة مُبكراً بعد أن تنصلت من فعِلتها وألبستها إبنتها لتحمل وزرها وحدها وتبوء بسوء عاقبتها.

لقد غابت كما غاب القمر عن ليلتهم السوداء تلك، هكذا قالت في

التحقيقات وكذبت على من سألها، غاب القمر تلك الليلة المشئومة كي لايشهد ما قد يتسبب في تصدُعهِ وإنطفائهِ.

من عجائب هذا الزمن الغادر الذي ماتت فيه الأمانة وأقبروها بيد الطمع والجشع التي أتت بالخراب والدمار على كل شيء جميل ورائع في دُنيانا المُوحشة فأستحالت إلى غابةٍ من الأنياب ومرتعاً خصباً لذئاب الُكره.

إلتقاها بعد أشهرٌ من فعلتها الشريرة تتجول مِرحة في شارع «الفوشيك» يحلو له ولقلة من أصدقائهِ المُقربين جداً تسميتهُ، زُقاق طويل وضيق ذو تفرُعات يعج بالباعة المتجولين ينـادون بأصوات مزعجة وبطرق غريبة على بضِاعة بائسة كبؤسهم المستوطن والمُقيم، يقصدهُ خلقاً كثيرون ومن كل الأجناس والأعمار، تتداخل فيه الأجساد وتتدافع في إلتصاقٍ غريب يتلذذون به جداً مانحاً فُرصاً عظيمة لمُتقني الصيد البشري ومُحترفيه البارعين لتمرير وريقاتهم الصغيرة والمطوية بشدة تحمل عناوينهم وأرقام هواتفهم تتلقفها أيدي ناعمة وخشنة على السواء بلهفة في حذر وحيطة شديدين، يبدو أنها جاءت تنشُد صيداً سهلاً، تتجول مرحة وكأنها كانت في رحلة استجمامية بدت في صحة جيدة غير عابئة بما فعلت ولا بما جرى عاتبها كثيراً على حيلتها الماكرة التي نسجتها حوله ولولا تخوفهُ من المارة لصفعها بشدة وأشبعها ضرباً ولكنهم لمثلها من الحسناوات يهبون مُكشرين مُنتقمين حتى وإن لم تطلب منهم نجدة أو معونة يكفيهم استعراض بطولاتهم أمامها خاصة وأن في كل جيب وريقة تتوقٌ للوثوب تتلقفها يداً طرية وتتفحصها عيناً ناعسة جميلة وبالتأكيد سيجد نفسه في موقف يتخطفهُ كُل من هبَ ودبَ تتقاذفهُ الأيادي وتركُلهُ الأرجُل الغليظة فآثر تجنيب نفسه المصير المحتوم خاصة وأن أعين بعض العطشى صارت تترقبه بتجهم،



آذانهم تسترق السمع علها تجد منفذاً لتأديبه وفُرصة الفوز برضاها ما أبدعهُم في ذلك وكأنهم لايُتقنون شيئاً غيره .

مما سمعهُ مِنهَا في هدأة الضجة وخفوت أصوات الباعة تأكيدها خروجها من قضيتها تلك حتى قبل صدور الحكم والبث فيها، فقد تمكنت من إغراء أحد ضِعاف النُفوس وما أكثرهم حولنا فسرق لها الملف وكل ما أُحتواه من أوراق إعترافاتها وأدلة دامغة ومزقهُ أمام عينيها العسليتين عساه ينالُ القبول وتمُكنهُ من نفسِهَا المسكونة بكل قبيح متوحش وهاهي حُرة طليقة كما يرى وينظُر وما عادت خائفة من شيء .

حاول تكذيبها والتشكيك بروايتها فما أدعتهُ ضرباً من المُحال كما يظُن ويؤمن، ولكنها أقسمت له أن كل ما قالته لتوها هو ما حدث فعلاً فكُل شيء في هذه الدُنيا يُباع ويُشترى ولكل سلعة ثمن.

تسمر في مكانه مُتخشياً وتصلب كامل جسدهُ وإعترتهُ رعشة قوية وإجتاحتهُ موجة عارمة من الغضب قتلت كُل حروف اللُغة على شفتيهِ أشاحَ بوجههِ وأدارَ لها ظهرهُ وسار بخطىً لا تكاد تتبين وجهة ولا هدفاً فكل ما أراده المُغادرة والإبتعاد... هتفَ صوتاً مُدوياً بداخله لم يسمعهُ أحدٌ غيره... فعلاً لكل شيء سوقاً رائجة عدا ذلك الضمير فما عاد- له زبائن يرغبون بهِ.

طرابلس 2002ف



قائمة المحتويات

أيتها النجوم العالية

أيكون الصعود هو الطريق الوحيد إليكِ

أليس بإمكانكِ النزول

فما عدتُ قادراً على المشي

فكيف بالطيران

تعبتُ وتعب قلبي وملتني كُل الأرجاء

أيتُها الغيمة المُسافرة

ألا يوجد على ظهركِ مكان

لرجُلاً رغب في الرحيل

وكفر بكُل الأشياء

ولم يعد يُطيق ها هُنا ■■■

